روايات مصرية للجيب

قضية الحريق الغامض

سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للناشئين

Looloo
www.dvd4arab.com

١ ــ نيران فى الفجر ..

ارتفع صوت الأبواق المميِّزة لسيارات إطفاء الحرائق ، وهى تشق طريقها عبر شوارع القاهرة المزدحمة ، حتى توقَّفت أمام مخازن شركة النيل للمنسوجات ، حيث ارتفعت ألسنة اللهب ، وقفز رجال الإطفاء من سياراتهم ، وتحرَّكوا فى سرعة ومهارة ، وسُرْعان ما كانت أجهزتهم تكافح الحريق فى قوَّة وإصرار ..

وعلى الرغم من وجود خمس سيارات إطفاء ، وعشرات الرجال المدرَّبينَ على مواجهة مثل هذه المخاطر ، وعلى الرغم من استخدامهم لمادة رغويَّة حديثة ، إلَّا أن عنف النيران الشديد لم يمكِّنهم من السيطرة عليها قبل ساعة كاملة ، التهم الحريق خلالها ما يزيد على تسعين فى المائة من محتويات المخازن ، وبدا رئيس مجلس إدارة الشركة ــ الذى تم استدعاؤه على عجل ــ فى حالة يرثى لها من الإحساس بالمرارة والألم ، وهو يحاول تجفيف العرق الغزير ، الذى يملأ وجهه ، ويلوِّح بذراعيه ، قائلًا فى يأس وإحباط هائلين :

ـــ خسارة رهيبة .. لقد التهمت النيران مخزونًا يقدّر بملايين الجنيهات .. إنها كارثة .

مطَّ العقيد (مختار) ـــ رئيس فرقة الإطفاء ـــ شفتيه فى أسف ، وهو يغمغم :

ـــ إنها كارثة ولا شك ، وسيكون على رجال البحث الجنائى أن يبذلوا أقصى جهدهم ؛ لتحديد المسئولية ، ومعاقبة المسئول و ..

قاطعه صوت مفعم بالانفعالات ، يقول فى اهتمام :

ـــ سيستغرق هذا بضعة أشهر على الأقل يا سيادة العقيد ، ولكن لو أننا بدأنا فى دراسة الأمر الآن ، فربَّما ..

التفت العقيد (مختار) ، ورئيس مجلس الإدارة إلى مصدر الصوت ، وبدا الضجر على وجه العقيد (مختار) ، وهو يقاطع صاحب الصوت ، قائلًا :

ـــ أهو أنت ؟!.. كيف وصلت بهذه السرعة ؟

ابتسم الشاب ـــ صاحب الصوت ـــ وهو يقول فى هدوء :

ـــ سرعة ؟!.. أية سرعة يا سيِّدى ؟.. إنكم هنا منذ ساعة كاملة .

ثم التفت يصافح رئيس مجلس الإدارة .. الذى بدا حائرًا مشدوهًا ، وقدَّم نفسه قائلًا :

ـــ (عصام كامل) يا سيِّدى .. صحفىّ بقسم الحوادث فى جريدة ...

قاطعه رئيس مجلس الإدارة فى لهفة :

ـــ يا إلهى !!.. إذن فأنت (عصام كامل) ! .. إننى أقرأ كل تحقيقاتك البوليسية الرائعة ، التى توقّعها باسم (ع × ٢) .. يا إلهى !!. أعتقد أنه يمكنك إفادتنا كثيرًا .

عقد العقيد (مختار) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـــ هذا العمل يخص رجال الشرطة و ..

قاطعه (عصام) فى مرح :

ـــ والصحافة أيضًا يا سيادة العقيد .

أجابه العقيد (مختار) فى صرامة :

ـــ اسمع يا (عصام) .. إننى أعترف أنك صحفىّ بارع ، ولكننى أحذّرك من التدخّل فى شأن من شئون الشرطة ، و ..

عاد (عصام) يقاطعه بنفس المرح ، وهو يلوِّح بآلة التصوير الخاصَّة به :

ـــ رُوَيْدَك يا سيادة العقيد .. إنه حريق ضخم ، ولن تمضىَ لحظات حتى يمتلئ المكان بصحفيين من كل الجرائد الحِزْبيَّة والقوميَّة ، فلِمَ تحاول منعى من الحصول على سبْق صحفىّ ؟

ثُمَّ ربَّت على كتف رئيس مجلس الإدارة ، مستطردًا فى حماس :

ـــ هيًا يا سيِّدى .. هيًا .. لا ريب أنك ترغب فى تفقُّد المكان بعد الكارثة .. هيًا .

زفر العقيد (مختار) فى ضيق ، وهو يراقبهما يتَّجِهان نحو المخازن ، التى خَبَا حريقُها ، وغمغم فى سخط :

ـــ يالَهُ من عنيد !!

وعـاد يواصل عمله ، محاولًا تجاهُـــلَ ما حدث منـــذ لحظات ..

* * *

كان الخراب يحيط بالمكان على نحو يدعو للرثاء ، حتى أن رئيس مجلس الإدارة عجز عن التفوُّه بكلمة واحدة طَوَالَ عشر دقائق كاملة ، وهو ينقل بصره بين بقايا الأقمشة المحترقة ، والأثاث الذى تحوَّل إلى كُتَلٍ سَوْدَاءَ متهالكة ، حتى سأله (عصام) فى إشْفاق :

ـــ هل يمكن تحديد قيمة الخسائر يا سيِّدى ؟

لوَّح الرجل بذراعيه فى تهالُكٍ ، وهو يقول فى ألم :

ـــ بالطبع .. صحيح أن دفاتر المخازن كلها قد احترقت بلا شكٍّ ، ولكنَّ قسم الحسابات بالشركة يملك نسخة منها ، وسيمكننا بواسطتها تحديد الخسائر ، ولكنَّها لن تقلّ عن خمسة ملايين على أقل تقدير .

بدت ملامح التفكير على وجه (عصام) ، وهو يقول :

ـــ ألا يحتمل أن يكون الحريق متعمَّدًا ؟

ارتسم الذعر على وجه رئيس مجلس الإدارة ، وهو يغمغم :

ـــ هذا احتمال وارد ولا شكَّ ، ولكنَّه يُفْزِعُنى .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـــ مَن المسئول عن المخازن ؟

أجابه الرجل فى توتُّر :

ـــ ثلاثة أمناء مخازن هنـــا .. (نجيب) و (فاروق) و (حجَّاج) .. ثم هناك الخفير أيضًا .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يتساءل فى دهشة :

ـــ الخفير ؟!.. وأين هو ؟!.. أما كان ينبغى له أن يكون هنا الآن ؟

انتقلت دهشته إلى رئيس مجلس الإدارة ، الذى غمغم فى حَيْرة :

ـــ نعم .. أين هو ؟

ثم اسْتَدْرَك فى توتُّر :

ـــ هل تظن أنه ....

قاطعه (عصام) فى هدوء :

أشار (عصام) إلى بقايا سلك محترق ،

ــ لَمْ يَحِنْ وقت الظن بعدُ يا سيِّدى ..

واتجه نحو باب المخازن الرئيسىّ ، وفحص قُفْله فى عناية ، ثم قال فى انفعال :

ــ هذا القُفْل محطَّم .

هتف رئيس مجلس الإدارة فى جَزَع :

ــ إذن فالخفير هو الفاعل بلا شكٍّ ، فالثلاثة الآخرون يملكون مفاتيح المخازن .

أشار (عصام) إلى بقايا سلك مُحْتَرِق ، يتَّصل بالتيار الكهربىّ ، وهو يسأل :

ــ هل تستخدمون الأجهزة الكهربية هنا ؟

هتف رئيس مجلس الإدارة فى استنكار :

ــ لا بالطبع ... هذا محظور تمامًا داخل مخازن الأقمشة بالذَّات .

داعب (عصام) بقدمه بقايا زجاج محطَّم ، ثم رفع عينيه يتفحَّص جُدران المخزن القريبة ، وهو يقول :

ــ لا توجد نوافذ فى هذا الجانب يا سيِّدى ، فمن أين أتى هذا الزجاج المحطَّم ؟

قلَّب رئيس مجلس الإدارة كفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ لستُ أدرى يا ولدى .. لستُ أدرى .

اعتدل (عصام) ، وهو يقول فى حزم :

ــ صحيح أننى لا أدرى بعدُ كيف حدث هذا يا سيِّدى ، ولكن ذلك الحريق كان متعمَّدًا .

وصمت وهلة ، قبل أن يُرْدِف بمَزيد من الحزم :

ــ وسيثبت فريق (ع × ٢) ذلك .. أؤكِّد لك .

* * *

٢ ــ البداية ..

استمع (عماد) و (عُلا) إلى (عصام) فى اهتمام بالغ ، حتى وصل بقصتّه إلى عُثوره على بقايا السلك المحترق ، وقطع الزجاج المحطَّمة ، فعقدت (عُلا) حاجبيها ، وهى تغمغم فى حَيْرة :

ــ بقايا سلك وقطع زجاج ؟!.. ماذا يعنى هذا سوى ...؟

أكمل (عماد) عباراتها قائلًا :

ــ سوى أن الخفير ليس هو مرتكب الحادث .

هتف (عصام) فى استنكار :

ــ أخطأتما هذه المرة ولا شكَّ ، فالخفير هو المتهم الأوَّل ، بدليل هروبه من مكان الحادث ، ثم إن أمناء المخازن الثلاثة قد أنكروا علاقتهم بالسلك الكهربائى ، الذى أكَّد رجال البحث الجنائى مسئوليته عن إحداث الحريق ، بماس كهربىّ صغير ، ومن الواضح أنه قد وُضِعَ متعمَّدًا ليحدث ذلك و ..

قاطعته (عُلا) ، وهى تبتسم فى هدوء :

ـ لا تتعجَّل النتائج يا أستاذ (عصام) .

وابتسم (عماد) بدَوره ، قائلًا :

ـ لو أن أحد أمناء المخازن هو المسئول عن الحريق ، فهل كنت تتوقع أن يعترف بأنه صاحب السِّلك المتسبِّب فيه ، على الرغم من كون ذلك مخالفًا للقوانين ؟

لوَّح (عصام) بكفه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـ لا بالطبع ، ولكن ثلاثتهم أثبتوا بُعْدَهم عن مكان الحريق حينما شَبَّ ، فقد كان (نجيب) و (فاروق) فى السينما ، (وحجَّاج) قضى سهرته فى منزل صِهْره ، ولم يعلم بالحريق سوى من صحف الصَّباح .

سألته (عُلا) فى اهتمام :

ـ وهل هناك ما يؤكِّد ذهاب (نجيب) و (فاروق) إلى السينما ، فى هذا الوقت بالذات ؟

غمغم (عصام) فى حماس :

ـ تذكرتا السينما بالطبع .

تبادل (عماد) و (عُلا) واحدة من نظراتهما الهادئة الغامضة ، التى تثير أعصاب (عصام) ، فاستطرد فى حَنَق :

ـ أعلم أن هذا ليس دليلًا كافيًا بالطبع ، وأعلم أنكما

تفكِّران فى احتمال أن يكونا قد اكتفيا بالحصول على التذكرتين ، دون أن يطأ أحدهما باب السينما ، ولكن مدير السينما هو صديق قديم لـ (فاروق) ، ولقد شهد أنهما شاهدا العرض منذ بدايته ، وإلى نهايته .

سألته (عُلا) :

ـ وماذا عن (حجَّاج) ؟

هزَّ كتفيه قائلًا :

ـ دليله قوىَ للغاية ، فلقد كان عيد ميلاد ابن شقيق زوجته أمس ، ولقد احتفلت به الأسرة كلها فى منزل صهره ، ولقد شهد الجميع بوجوده طيلة الوقت .

وابتسم فى ظفر ، وهو يستطرد :

ـ وهكذا يكون الخفير هو المتَّهم الوحيد .

غمغمت (عُلا) فى هدوء مُستَفِزّ :

ـ إنه ليس الفاعل .

هتف (عصام) فى انفعال :

ـ أهى مُكابرة فحسب ؟

أجابه (عماد) :

ـ لا يا أستاذ (عصام) ، ولكن ملابسات الأمر تؤكِّد

أنه ليس الفاعل ، فمادام قد حطَّم قُفْل الباب ، ويتعمَّد الهروب بعد ارتكاب الحادث ، فلماذا يصرّ على إشعال الحريق بماس كهربىّ ؟.. ألم يكن من الأبسط أن يشعل النار بعود ثقاب ويفرّ ؟..

ارتبك (عصام) ، وهو يغمغم :

ــ ربَّما أراد أن ..

قبل أن يتم عبارته ، تقدَّم منه نادل النادى ، وقال فى احترام :

ــ مكالمة هاتفية لك يا أستاذ (عصام) .

أسرع (عصام) يلبّى المكالمة ، وكأنه يفرُّ من الحَرَج الذى أوقعه فيه (عماد) و (علا) ، فى حين التفتت الأخيرة إلى شقيقها ، وسألته فى اهتمام :

ــ إذا كان السِّلْك هو سبب الحريق ، فما الذى تعنيه قطع الزجاج المحطَّمة يا (عماد) ؟

هزَّ كتفيه الصغيرتين ، وهو يقول :

ــ لم يتَّضحْ لى ذلك بعدُ يا (عُلا) ، فنحن نحتاج إلى مَزيد من المعلومات .

عاد إليهما (عصام) فى سرعة ، وبدا مُفغمًا بالانفعالات ، وهو يلتقط آلته التصويرية ، قائلًا :

ــ معذرةً يا صديقىَّ .. لابدَّ لى من الانصراف فَوْرًا .

سألته (عُلا) فى لهفة :

ــ هل من جديد ؟

تأمَّلها لحظة فى صمت ، قبل أن يجيب :

ــ نعم .. لقد عثروا على الخفير .

* * *

« لست الفاعل يا سيِّدى .. أقسم لك »

نطق الخفير بهذه الكلمات فى لهجة أقرب إلى البكاء ، تجمع بين الضَّراعة والذُّعر ، أمام وكيل النيابة ، الذى عاد يسأله فى خشونة :

ــ لماذا عَمدْت إلى الفرار إذن ؟

كان الخفير رجلًا فى حَوَالَى الخمسين من عمره ، تُوحِى ملامحه بالبساطة والطيبة ، وكان الخوف وقلة الحيلة واضحين فى ملامحه وحركاته ، وهو يجيب :

ــ خشيت أن يتَّهمونى بإشعال الحريق ، وأنا رجل مسكين يا سيِّدى و ..

قاطعه وكيل النيابة فى صرامة :

ــ منذ متى وأنت تعمل خفيرًا للمخازن ؟

أجابه الخفير :

ــ منذ عشرين عامًا يا سيِّدى ، ولم يحدث أن ...

عاد وكيل النيابة يقاطعه :

ــ لماذا أشعلت النار إذن ؟

صرخ الرجل فى جزع ، وأخذ يهتف فى رُعب :

ــ إننى لم أفعل يا سيِّدى .. أقسم لك .

حَدَجه وكيل النيابة بنظرة قاسية ، ثم لانت ملامحه ، وهو يسأله فى هدوء :

ــ ماذا حدث أمس بالضبط ؟

أجابه الخفير ، وهو يرتجف :

ــ لقد انصرف الأستاذ (فاروق) والأستاذ (نجيب) فى الثالثة إلَّا الربع ، وسمعتهما يتَّفقان على الذَّهاب إلى السينما فى المساء ، وبعدهما بخمس دقائق تقريبًا خرج الأستاذ (حجَّاج) وأعطانى إناء حفظ السوائل الخاصّ به (التَّرْمُس) ؛ لأغسله

كالعادة ، وأغلق باب المخزن ، ووقف يتحدَّث إلىَّ حتى انتهيت من غسل الإناء ، وأخذه وانصرف .

سأله وكيل النيابة :

ــ وهل عاد أحدهم فى المساء ؟

أجابه الخفير فى تأكيد :

ــ لا يا سيِّدى .. إننى لم أر أيَّهم ، حتى هذه اللحظة .

كان الرجل يُدِينُ نفسه دون أن يدرى ، بتأكيده أنه الوحيد الذى تواجد فى مكان الحادث ، حينما شَبَّ الحريق فى الثامنة والنصف مساءً ، فتنهَّد وكيل النيابة ، وهو يسأله :

ــ ومتى حدث الحريق ؟

أجابه الخفير فى انفعال :

ــ لست أملك ساعة لتحديد الموعد بالضبط يا سيِّدى ، ولكننى كنت قد انتهيت توًّا من صلاة العشاء ، حينما سمعت صوت زجاج يتحطَّم داخل المخزن ، فأسرعت إليه ، ودفعت بابه ، فاندلعت النيران فجأة ، وكأنما حدثت بفعل شيطان رجيم ، وتملَّكنى الرُّعب ، فلم أدر إلَّا وأنا أهرول مبتعدًا ، وحينما تمالكت نفسى ، كان الحريق قد تأجَّج ، فبادرت بالفرار ، خشية أن أُتَّهم بإحداثه .

عقد وكيل النيابة حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ــ إذن فقد اندلعت النيران فجأة ؟.. أتحاول خداعنا يارجل ، أم تتظاهر بالجنون ؟

هتف الرجل فى ضراعة :

ــ أقسم لك أن هذا ما حدث يا سيِّدى .. إن الذى أشعل النيران عفريتٌ من الجنِّ .

زفر وكيل النيابة فى حَنَق ، ثم مال على مُعَاوِنه ، قائلًا فى صرامة :

ــ يُؤْمَرُ بحجزه أربعة أيام على ذمة التحقيق ، ويراعى التجديد فى الموعد .

جحظت عينا الخفير ، وهو يهف فى ضراعة :

ــ إننى مظلوم ياسيادة وكيل النيابة ... مظلوم .

صاح به وكيل النيابة فى خشونة :

ــ اصمت يارجل .. ألم تفهم بعد ؟

ثم اعتدل مستطردًا فى صرامة :

ــ إنك المتهم الأوَّل فى قضيَّة الحريق .

* * *

تنهَّد (عصام) فى عمق ، ولوَّح بكفِّه وهو يقول :

ــ لقد تجشَّمت الكثير حتى أمكننى الحصول على محضر التحقيق مع الخفير ، ولكنه زادنى يقينًا أن الرجل هو الفاعل .

هزَّت (عُلا) رأسها نفيًا ، وهى تقول فى جِدِّيَّة :

ــ إنه على العكس ، زادنى إيمانًا ببراءته .

التفت (عصام) إلى (عماد) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ هل توافق شقيقتك فى هذا القول ؟

أجابه (عماد) فى حَرَج :

ــ فى كل حرف منه يا أستاذ (عصام) . معذِرةً .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى سخط :

ــ هل ترفضان الحقائق لمجرَّد ألَّا تبدُوَ القضية عاديَّة ؟ .. هل تصدِّقان قصَّة ذلك المأفون عن اندلاع الحريق دفعة واحدة ؟.. إنه رجل متخلف ، يؤمن بالجنِّ والعفاريت .

ابتسم (عماد) وهو يقول :

ــ كلنا نؤمن بها يا أستاذ (عصام) ، فقد جاء ذكر عفريت من الجن فى آيات القرآن الكريم .. ولكن الرجل الذى ارتكب هذا الحريق الغامض ليس عفريتًا من الجنّ ، وإنما هو بشرىَ مثلنا .

غمغم (عصام) فى حَنَق :

ـ وهو ليس الخفير .. أليس كذلك ؟

قالت (عُلا) فى اهتمام :

ـ اسمع يا أستاذ (عصام) .. دعنا لا نتعجَّل النتائج ، ولكن علينا أن نبدأ تحرياتنا فورًا .

تنهَّد (عصام) ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى ضَجَر :

ـ حسنًا .. ماذا تريد منى أن أفعل ؟

أجابه (عماد) فى حماس :

ـ سنبدأ من البداية كالعادة يا أستاذ (عصام) .. سنبدأ باستجواب أمناء المخازن الثلاثة ، فالفاعل هو أحدهم .

وغمغمت (عُلا) فى صوت عميق :

ـ أو كلهم .

* * *

٣ ـ الاستجواب ..

تبادل أمناء المخزن الثلاثة : (نجيب) ، و (فاروق) ، و (حجَّاج) نظرات قلقة حائرة ، ثم اتجهت أبصارهم نحو (عصام) ، وقال (نجيب) :

ـ ليس لدينا ما ندلى به للصحافة يا أستاذ (عصام) ، فلقد أبلغنا الشرطة بكل ما لدينا و ....

قاطعه (عصام) فى حزم :

ـ أأنت واثق ياسيِّد (نجيب) ؟

ارتفع حاجبا (نجيب) فى دهشة ، فى حين عقد (حجَّاج) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى يا أستاذ (عصام) ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (عصام) ، وهو يقول :

ـ أعنى أن أحدكم ، أو كلكم قد أخفيتم بعض الحقائق عن رجال الشرطة .

اندفع (فاروق) يقول فى عصبية :

ــ هل تتهمنا بارتكاب الحادث يا أستاذ (عصام) ؟

أجابه (عصام) فى برود :

ــ بالطبع .

ارتسمت الدهشة على وجوه الرجال الثلاثة ، ثم لم تلبث أن تحوَّلتْ إلى ثورة من الغضب ، وصاح (فاروق) :

ــ أنت وقح يا أستاذ (عصام) ، فالشرطة نفسها لم ..

قاطعه (عصام) فى صرامة :

ــ دعنا من الشرطة .. لقد أُحرِقت المخازن ؛ لإخفاء عجز ما ، يخص عهدة أحدكم ، وهذا يعنى أن أحدكم هو المسئول عن الحريق بوسيلة أو بأخرى .

صاح (فاروق) فى غضب :

ــ أيها الوقح !!

وغمغم (نجيب) فى شماتة :

ــ ليس لك الحق فى توجيه أية اتهامات .

أما (حجَّاج) فقال فى دهشة :

ــ ولكن لماذا تتهمنا بذلك ؟.. لقد قرَّرت الشرطة أن الخفير هو المسئول .

شعر (عصام) بالغضب فى أعماقه ، فقد كان هذا مايؤمن به أيضًا ، إلَّا أنه لوَّح ، وهو يقول فى صرامة :

ــ هذا يتوقَّف على الحديث الذى سنجريه معًا الآن أيها السادة .

صاح (فاروق) فى غضب :

ــ لا تتوقَّع منى حرفًا واحدًا .

أما (نجيب) فقال فى توتُّر :

ــ ما الذى تريد معرفته أيها الصحفى ؟

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ لماذا ذهبت إلى السينما مع (فاروق) أمس بالذَّات ؟

مطَّ (نجيب) شفتيه ، وهزَّ كتفيه ، وهو يقول :

ــ لقد اعتدنا أن نذهب إلى السينما معًا كل خميس ، وهذا ما فعلناه أمس .

سأله (عصام) ، وقد ازداد شعوره بعدم جَدْوَى هذا الاستجواب :

ــ هل كنتما تتوقَّعان جَرْدًا أو تفتيشًا فى الأيام القادمة ؟

أجابه (حجَّاج) هذه المرَّة ، قائلًا :

ـــ نعم .. كنا ننتظر تفتيشًا ومراجعة للمخازن بعد باكر ، ولكنَّ هذا لا يعنى أن ..

قاطعه (فاروق) فى حِدَّة :

ـــ دعه يتصوَّر ما يشاء ، فهو لا يملك شيئًا .

حاول (عصام) أن يجد سؤالًا جديدًا ، ليواصل استجوابه للرجال الثلاثة ، إلَّا أنه لم يلبث أن شعر بالسخط ؛ لأن كل ما دار بخلده من أسئلة كان قد قرأ أجوبتها فى محاضر الشرطة ، فزفر فى ضيق ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. أعتقد أن هذا يكفى .

ثم استدرك فى سرعة :

ـــ ولكننى سأعود إذا ما لزم الأمر .

هتف (فاروق) :

ـــ يا للصفاقة !!

أمَّا (نجيب) و (حجَّاج) ، فلم يفه أحدهما بحرف واحد ، حتى انصرف (عصام) ، وران فى المكان صمت ثقيل ، إلى أن غمغم أحد الرجال الثلاثة فى توتُّر :

ـــ أعتقد أنه على حق فى شكوكه .

ثم لوَّح بكفه مستطردًا :

ـــ لقد أصبحت أبغض هذا المكان .. سأذهب إلى الإدارة بعض الوقت .

وانصرف بخطوات سريعة ، وهو يسمع أحد زميليه يقول لرفيقه :

ـــ أين الـ (ترمس) ؟.. إننى أتوق لقدح من الشاى .

واتجه الرجل الأوَّل فى سرعة إلى مكاتب الإدارة ، والتقط سمَّاعة أوَّل هاتف صادفه ، وطلب رقمًا مَا ، ثم انتظر فى توتُّر حتى جاءه صوت محدِّثه على الطرف الآخر للهاتف ، وهمس فى انفعال :

ـــ اسمعنى جيِّدًا يا (سعفان) .. لقد جاء هنا ذلك الصحفىّ المشهور فى قسم الحوادث ، (عصام كامل) ، وأعتقد أنه يحمل دليلًا ما يديننا ، وتحقيقاته السابقة تؤكِّد أنه بالغ الذكاء فى هذا المجال ؛ لذا أريد منك أن تتخلَّص منه قبل أن يكشف أمرنا .

ثم أردف فى حزم :

ـــ الليلة .

* * *

خرج (عصـام) من مبنى شركة النيل للمنسوجات إلى صحيفته مباشرةً ، وعربد السخط فى أعماقه حتى أنه لم يحاول الاتِّصال بـ (عمـاد) و (عُلا) ، أو سرد ماحـــدث على مسامعهما ، فقد كان يشعر أنه قد أخطأ بإقدامه على تلك الخطوة ، التى قاداه إليها ، حينما دفعـاه لاستجـواب الرجـال الثلاثة ، بعد أن أكَّدت الشرطة براءتهم ، ودون أن يجد سؤالًا جديدًا واحدًا ، يمكنه أن يسألهم إياه ، ليضيف إلى ما لديه من معلومات معلومة جديدة واحدة ..

وطوال الفترة التى قضاهـا فى الجريـدة ، حتى منتصف الليل ، كان شديد العصبيَّة والتوتُّر ، مما دفع أحد زملائه إلى أن يسأله فى قَلَق :

ــ ماذا بك اليوم يا (عصام) ؟

هتف زميل آخر ضاحكًا :

ــ يبدو أنه يعجز عن التوصُّل إلى تفسير بوليسىّ مثير ، فى تحقيقه الجديد عن الحريق .

غمغم (عصام) فى حَنَق :

ــ الزم الصمت أو أحطِّم أنفك .

ضحك زميله فى مرح ، فى حين سأله الزميل الأوَّل فى دهشة :

ــ ولكن قضية الحريق لا تحمل أى غموض يا (عصام) !!..

إنها قضيَّة واضحة ، ولقد ألقى رجال الشرطة القبض على الخفير و ....

قاطعه (عصـام) فى سخط :

ــ هلَّا صمَتَّ وتركتنى وخْدِى ؟

ابتسم زميله فى إشفاق ، وربَّت على كتفه ، قائلًا :

ــ لا بأس يا (عصام) .. سأتركك وخْدَك .

ازدادت عصبيَّة (عصام) ، حينما شعر بفظاظته فى التعامل مع زميله ، ونهض يلتقط آلته التصويرية ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ سانصرف .

تطلَّع إليه رئيس قسم الحوادث فى حَيْرة ، ثم أجابه فى هدوء واقتضـاب :

ــ لا بأس .

غادر (عصام) مبنى الجريدة فى خطوات سريعة حانقة ، وزفر فى قوَّة ، وهو يعبر الطريق ، مغمغمًا فى سخط :

ــ أراهن أننى لن أجد ما يقلّنى إلى منزلى ، حتى تكتمل سخافة هذه الليلة .

امتقع وجه (عصام) ، وهو يحدّق فى فوهة المسدس ..

لم يكد يتم عبارته حتى توقّفت إلى جواره سيارة صغيرة ، مصرية الصنع ، وسمع قائدها يهتف فى حرارة :

ــ أستاذ (عصام) ؟!.. كيف حالك ؟

التفت فى دهشة إلى قائد السيارة ، والرجل الذى يجلس إلى جواره صامتًا ، وتأمّل ملامحهما لحظة ، ثم سألهما فى تردُّد :

ــ معذرةً .. هل سبق لنا أن تعارفنا ؟

ابتسم قائد السيارة ، وهو يقول فى هدوء لَمْ يَرُقْ لـ (عصام) :

ــ ليس بعدُ ، ولكن هذا لن يتأخّر كثيرًا .

وفجأة رفع الرجل الآخر فوّهة مسدّس ضخم نحو (عصام) ، وهو يقول فى خشونة :

ــ هل تكفى هذه البطاقة لتعارفنا ؟

امتقع وجه (عصام) ، وهو يحدّق فى فوّهة المسدّس ، فى حين ابتسم قائد السيارة ، وهو يقول فى برود ساخر :

ــ هيَّا يا أستاذ (عصام) .. ستصحبنا فى رحلة قصيرة .

وأطلق الرجل الآخر ضحكة أشبه بزمجرة حيوان جريح ، قبل أن يغمغم ساخرًا .

ـ أو طويلة .. هذا يتوقّف على قدرتك على الاحتمال أيها الصحفىّ العبقرىّ ..

ثم أردف فى صرامة :

ـ اركب السيَّارة .

أطاع (عصام) فى استسلام ، وانطلقت به السيَّارة نحو المجهول ..

* * *

٤ ـ رصاصة واحدة ..

أطفأت والدة (عماد) و (عُلا) ضوء حجرتهما ، وهى تبتسم قائلةً :

ـ ليلة طيبة يا ولدىَّ .. ينبغى أن تخلدا إلى النوم فورًا ، فلقد تجاوزت الساعة منتصف الليل بعدة دقائق .

غمغم (عماد) و (عُلا) فى شرود :

ـ ليلة طيبة يا أمَّاه .

ولم تكد أمهما تغلق باب حجرتهما خلفها ، حتى سألت (عُلا) شقيقها فى صوت خافت :

ـ فيم تفكّر يا (عماد) ؟

أجابها فى همس :

ـ فى بقايا سلك ، وقطع زجاج محطمة .

ران الصمت بينهما لحظات ، ثم غمغمت هى :

ـ أراهنك أن حلّ اللُغز كله يكمن فى هذين الشيئين الصغيرين .

أجابها فى اهتمام :

ــ إننا نعلم أن السلك هو المسئول عن حدوث الماس الكهربىّ ، الذى أدَّى إلى الحريق ، ولكن ماذا تعنيه قطع الزجاج ،

قالت (عُلا) فى انفعال :

ــ أعتقد أنها بقايا زجاجة ، كانت تحوى شيئًا ما ، وهذا يتَّفق مع اشتعال النار فجأة ، حينما فتح الخفير باب المخزن ، و ..

وبترت عبارتها لتهتف فجأة :

ــ (عماد) .. أظن أننى قد توصَّلت إلى كيفية حدوث الحريق .

قفز من فراشه ، وهو يهتف فى حماس :

ــ وأنا أيضًا يا (عُلا) .

هتفت فى انفعال :

ــ هل تعلم أن مفتعل الحريق الغامض مجرم ذكىّ ودقيق ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ وحقير أيضًا .

ثم عقد حاجبيه الصغيرين ، وهو يستطرد فى توتُّر :

ــ ولكن من هو ؟.. من ؟!

* * *

التزم (عصام) الصمت تمامًا ، طوال الطريق الذى قطعته السيَّارة ، على الرغم من أن توتُّره قد بلغ ذروته ، وخاصةً فى وجود فوَّهة المسدَّس الباردة ، الملتصقة بجانبه ، وهذين الرجلين ، اللذين يلوح فى وجهيهما الشرّ فى وضوح ..

وسرت فى جسده رِعْدَة قويَّة ، عندما وصلت السيَّارة إلى جبل المقطم ، وقطعت الطريق الذى يعبره ، حتى توقَّفت فى منطقة منعزلة نائية ، ولكزه الرجل الضخم بفوَّهة مسدَّسه ، وهو يقول فى خشونة :

ــ اهبط .

هبط من السيارة ، وهو يرتجف من شدَّة خوفه وانفعاله ، ورأى قائد السيَّارة وهو يهبط بدَوْره ، ويُشْعِل سيجارته ، ثم سمعه يسأله فى برود :

ــ حسنًا .. ماذا تعرف عن الحريق ؟

غمغم (عصام) فى توتُّر :

ــ أىّ حريق ؟

ارتسمت القسوة على ملامح الرجل ، وهو يقول فى خشونة :

ـ هل ستعمد إلى المراوغة منذ البداية ؟

ازدرد (عصام) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ هل تقصد حريق شركة النيل ؟

ابتسم الرجل فى سخرية ، وهو يقول :

ـ نعم .. إننى أقصده بالضبط .

ثم استطرد فى خشونة صارمة :

ـ ماذا لديك عنه ؟

شعر (عصام) بجفاف شديد فى حلقه ، حتى أنه عجز عن ازدراد لعابه هذه المرّة ، وهو يغمغم فى صوت متحشرج :

ـ إنه حريق مفتعل .

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يسأله فى اهتمام واضح :

ـ وما دليلك على ذلك ؟

غمغم (عصام) :

ـ اختطافكم لى هو خير دليل .

حَدَجه الرجل بنظرة قاسية ، ثم قال فى برود :

ـ هكذا ؟!.. يا لك من عبقرى !!

ثم نفث دُخَّان سيجارته فى قوّة ، قبل أن يسأله فى هدوء :

ـ كم تساوى يا أستاذ (عصام) ؟

رفع (عصام) حاجبيه فى دهشة ، وهو يردّد فى حَيْرة :

ـ كم أساوى ؟!

هتف الرجل فى غضب :

ـ نعم .. وبمعنى أكثر وضوحًا كم تريد لتتخلّى عن هذا التحقيق بالذات ؟ هل يكفيك عشرة آلاف جنيه ؟.. إن هذا يساوى مرتّبك فى عشر سنوات كاملة .

شعر (عصام) بالغضب ، أمام هذه المساومة القذرة ، وأزال غضبه كل الخوف الذى يشعر به فى أعماقه ، فهتف فى ازدراء :

ـ أنت رجل حقير .. إننى لن أتخلّى عن هذا التحقيق ، حتى ولو دفعت لى مليون جنيه كاملًا .

احتقن وجه الرجل غضبًا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أهذا هو قرارك النهائى ؟

أجابه (عصام) فى حزم عنيد :

ـ نعم .

مطَّ الرجل شفتيه فى أسف ، وقال :

ــ فى هذه الحالة لن تساوى سوى ثمن رصاصة واحدة أيها الصحفىّ .

ثم التفت إلى الرجل الضخم ، الذى يصوِّب مسدَّسه إلى رأس (عصام) ، واستطرد فى هدوء :

ــ اقتله يا (رشوان) .

★ ★ ★

٥ ــ معركة فى المقطم ..

لم يصدِّق (عصام) أذنيه ، حينما سمع الرجل يأمر بقتله بهذا الهدوء ، وكأنما يصدر أمرًا بقتل حشرة صغيرة ضارَّة ، ولكنَّ غضبه دفع فى عروقه قوَّة وجرأة شديدتين ، فغاص بجسده إلى أسفل بحركة سريعة ، وسمع دوىَّ الرَّصاصة ، وهى تمرق فوق رأسه ، وبدا له الدوىّ أشبه بقصف الرعد ، وتخيَّل هذه الرصاصة وهى تخترق جسده ، فزاد هذا من غضبه ، ودار على عقبيه فى مرونة لم يعهدها فى جسده قط ، ولكم الرجل الضخم بكل ما يملك من قوة فى معدته ، وسمع الرجل يتأوَّه فى ألم ودهشة ، فأسرع يلكمه فى فكه ، وشعر بالألم فى عظام قبضته ، ولكنه رأى الرجل الضخم يسقط أرضًا ، فاستدار يواجه الآخر ..

وصاح (رشوان) الضخم ، وهو ينهض فى صعوبة :

ــ اقتله يا (فريد) .. اقتله .

انقضَّ (فريد) على (عصام) فى شراسة ، وطوَّح بقبضته

وسقط الاثنان أرضًا ، فى حين انطلق (عصام) يعدو بأقصى ما يملك من قوة ، دون أن يحدد هدفًا ، أو اتجاهًا ..

فى وجهه ، ولكنَّ (عصام) تفادى اللكمة فى صعوبة ، ولكم (فريد) فى أنفه بقوَّة ، وسمعه وهو يتأوَّه ، ويسبُّ ساخطًا ، ورأى الدماء تتدفَّق من أنفه فى غزارة ، فقفز جانبًا ، وهو يقول :

ــ حَذَارِ .. إنكما تُقْدمان على ارتكاب جريمة قتل ، وهذا ..

بتر عبارته فجأة ، وسرت فى جسده قُشَعْرِيرَة قويَّة ، عندما رأى (رشوان) يلتقط المسدَّس ، الذى سقط منه ، ويصوِّبه إليه مرَّة أخرى ، فلوَّح بكفه ، وهو يصرخ فى لهفة :

ــ إنه يحاول قتلى أيها الضابط .

كانت خدعة قديمة قِدَم الدَّهْر ، إلَّا أنها دائمًا ما تفلح ، فقد استدار (فريد) و (رشوان) إلى حيث ينظر فى ذعر ، وحينما أدركا الخدعة ، كان (عصام) يندفع نحوهما ، ويدفعهما بكتفه بأقصى قوَّته ..

وسقط الاثنان أرضًا ، فى حين انطلق (عصام) يعدو بأقصى ما يملك من قوَّة ، دون أن يحدِّد هدفًا ، أو اتجاهًا ..

كان كل مايطمح إليه هو أن يبتعد عن خصميه بأكبر مسافة ممكنة ؛ للإفلات من المصير المظلم الذى يحملانه له ، ولكن

(فريد) و (رشوان) استعادا توازنهما ، ونهضا فى سرعة ، وهتف الأوَّل فى توتُّر :

ــ لا تسمح له بالفرار .. لقد تعرَّفنا ، وأصبح أكثر خطورة .

زمجر (رشوان) ، وهو يقول فى خشونة :

ــ لن يفرّ منى أبدًا .

وانطلق الاثنان يَعْدُوَانِ خلف (عصام) فى سرعة وإصرار ..

كان الخوف يدفعه للركض بسرعة كبيرة ، إلَّا أن الرجلين اللذين يطاردانه كانا أقْوَى بِنْيَة ، وأشد بأسًا ؛ لذا فلم يمض وقت طويل حتى لحقا به ، وهتف به (رشوان) فى صرامة :

ــ قف أو أطلق النار .

كان صوته قريبًا ، حتى أن اليأس قد سيطر على قلب (عصام) فتوَّقف عن العَدْوِ وهو يلهث فى قوَّة ، وقال فى تعب :

ــ حسنًا ، ولكنك ستخسر كثيرًا لو قتلتنى ، فزميلى فى الجريدة يعلم كل ما لدىَّ و ...

كان يتحدث وهو يوليهما ظهره ، فارتجف حينما صكت مسامعه ضحكة ساخرة ، وسمع (فريد) يقول :

ــ دعك من هذه الخدعة .. إن أحدًا لم يرنا .. وبعد أن نقتلك لن تجد شاهدًا واحدًا .

التفت إليهما (عصام) ، وهو يقول :

ــ ربَّما أمكننا أن ..

وفجأة بتر عبارته ، وتهلَّلت أساريره ، وهو يهتف فى فرح :

ــ ألْقِ القبض عليهما أيها الضابط .. إنهما يريدان قتلى .

زمجر (رشوان) فى غضب ، فى حين مطَّ (فريد) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

ــ من الخطإ أن تلجأ للخدعة نفسها مرتين أيها الصحفىّ ، فمن الطبيعىّ أن ..

قاطعه صوت صارم قوىّ ، يأتى من خلفه ، قائلًا :

ــ مَنْ يدرى ؟.. ربَّما أفلحت هذه المرَّة ..

وكان صوت ضابط حقيقىّ ..

* * *

ما حدث فى اللحظات التالية كان مثيرًا للدهشة حقًّا ، فالمجرم ــ أى مجرم ــ عادة ما ينهار تمامًا ، حينما يفاجأ برجال الشُّرطة ، فى أثناء ارتكابه لجريمته ، أو شروعه فى ارتكابها ، خاصَّة إذا ما ضبط متلبِّسًا على نحو لا يسمح له بالتملُّص من الإدانة ..

ويقول رجال الشرطة المحترفون ، من ذوى الخِبْرة ، إن واحدًا فى المائة فقط من المجرمين ، يعمد إلى المقاومة فى مثل هذه الحالة ، ومن العجيب أن (فريد) و (رشوان) كانا من هذا الواحد فى المائة ..

لقد استدارا لمواجهة رجال الشرطة فى شراسة ، ربَّما ولَّدها اليأس ، ولم يتردَّد (رشوان) فى إطلاق رصاصة من مسدَّسه نحو ضابط الشرطة ، الذى تفادى الرصاصة فى براعة ومهارة ، وأطلق رصاصة من مسدَّسه الحكومىّ ، أردت (رشوان) قتيلًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين أسرع (فريد) يلتقط مسدَّسه ، ويصوِّبه نحو ضابط الشرطة ، والجندين المرافقين له ، فصاح به الضابط فى صرامة :

ــ ألق مسدَّسك أو أطلق عليك النار .

ولكن (فريد) لم يستجب للإنذار ، بل أطلق رصاصة من مسدَّسه ، ضاع دويُّها وسط دوىّ رصاصات رجال الشرطة ، التى أرْدَته قتيلًا ، بعد أن أطلق صرخة واحدة قصيرة ..

وحدَّق (عصام) فى وجوه ضابط الشرطة والجنديْن ، مشدوهًا ، غير مصدِّق ما حدث ، ورأى ضابط الشرطة يُعيد مسدَّسه إلى جرَابه ، ثم يتقدَّم منه ، قائلًا فى صرامة :

ــ أعتقد أنك ستصحبنا بالضرورة إلى قسم الشرطة ، فما من شك فى أننا سنولى قصَّتك اهتمامًا بالغًا ، حينما تشرح لنا سرَّ إصرار هذين الرجلين على قتلك .

هتف (عصام) ، وقد أفاق من دهشته :

ــ كيف ؟ كيف وصلتم إلى هنا ؟

مطَّ الضابط شفتيه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ إنه واجبنا ، فلقد أطلق هذان الرجلان رصاصة ، بدت كانفجار قنبلة ، وسط السكون المخيِّم على المكان ، وكان من الطبيعى أن تُهْرَعْ دَوْريَّتنا إلى هنا ؛ لاستطلاع الأمر .

تنهَّد (عصام) فى قوَّة ، ثم هتف فى سعادة :

ــ حسنًا فعلتم .. يا إلهى !!.. لقد أنقذتم حياتى .

عاد الضابط يقول فى صرامة :

ــ فلنؤجِّل الشكر لما بعد ، أمَّا الآن فستصحبنا إلى قسم الشرطة ، ومن يدرى ؟.. ربمَّا وضعنا اسمك فى خانة الجناة .. هيَّا ..

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الثالثة صباحًا ، حينما توقَّفت سيَّارة العقيد (خيرى) ، والد (عماد) و (عُلا) ، أمام

قسم شرطة المقطَّم ، وهبط هو منها ؛ ليعبر باب القسم فى خطوات واسعة قويَّة ، حيث استقبله ضابط النوبة بتحية عسكرية ، أجابها العقيد (خيرى) بتحية مماثلة ، قبل أن يقول :

ــ أين هو ؟

أجابه الضابط فى احترام :

ــ فى حجرة التحقيقات يا سيادة العقيد ، ولقد طلب مقابلتك شخصيًا .

سأله العقيد (خيرى) ، وهو يتَّجه إلى حجرة التحقيقات :

ــ هل تمَّ استدعاء الطبيب الشرعىّ ، وأخذ بصمات القتيلين ؟

أجابه الضابط :

ــ نعم يا سيِّدى ، وستصل نتائج فحص البصمات فى التاسعة والنصف صباحًا .

وصل العقيد (خيرى) فى تلك اللحظة إلى حجرة التحقيقات ، ولم يكد (عصام) يلمحه حتى ابتسم ، ولوَّح بكفِّه قائلًا :

ــ صباح الخير يا سيادة العقيد .. أخشى أن أكون قد تسبَّبت فى إيقاظك من نوم عميق .

جلس العقيد (خيرى) على المقعد المقابل له ، وسأله فى هدوء :

ــ هل تدرك دِقَّة موقفك هذه المرَّة ؟

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى بساطة :

ــ لا .. إن منطق الأحداث يقول إننى المجنى عليه ، ولست الجانى ، ولقد شهد الأمر ضابط شرطة وجنديَّان ، ولولاهم ما بقيت على قيد الحياة ، فمن أين تأتى دِقَّة موقفى إذن ؟

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ــ يبدو أنك تثق بنفسك كثيرًا .

مطَّ (عصام) شفتيه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لابدَّ لصحفى قسم الحوادث الناجح من أن يمتلك هذه الصِّفة .

أطلق العقيد (خيرى) ضحكة قصيرة ، واعتدل فى مجلسه ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ حسنًا .. لماذا أرادا قتلك ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، ومال نحوه قائلًا :

ـــ كانا يظنّان أننى أملك دليل إدانة ، فى حادث حريق مخازن شركة النيل .

جاء دَوْر العقيد (خيرى) ليعقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ أى دليل ؟.. أليس الخفير هو المسئول ، حسبما أظن ؟

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا فى إصرار ، ثم قال فى حماس :

ـــ هكذا كنت أظن أنا أيضًا ، ولكن محاولة التخلُّص منّى هذه تؤكد خطأ ذلك .

ثم انطلق يقصُّ عليه تفاصيل لقائه بأمناء المخازن الثلاثة ، فى الصباح السابق ، واستمع إليه العقيد (خيرى) فى اهتمام ، ثم سأله فى هدوء ، يخفى الكثير من الانفعالات ، التى يجيش بها صدره :

ـــ أهو استنتاج (عماد) و (عُلا) ؟

تردَّد (عصام) لحظة ، ثم أطرق برأسه مغمغمًا :

ـــ نعم .

عاد العقيد (خيرى) يسأله فى هدوء ، بذل جهدًا ليحتفظ به :

ـــ وكيف أمكنك إقحامها فى الأمر ؟

حرَّك (عصام) رأسه ، وهو يتمتم :

ـــ إنهما مَوْهوبان يا سيادة العقيد .

زفر العقيد (خيرى) من أعماق قلبه ، قبل أن يغمغم فى شرود :

ـــ نعم .. إنهما كذلك .

ثم نهض قائلًا :

ـــ هيَّا يا (عصام) .. سنذهب معًا .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـــ إلى أين ؟

زفر مرَّة أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :

ـــ سنعيد استجواب أمناء المخازن .. سنتبع أسلوب فريق (ع × ٢) حتى النهاية ..

٦ ــ المتهمون ..

همهم (فاروق) بهمهمات ساخطة ، وأطلق سبابًا بذيئًا ، وهو يجيب نداء جرس باب منزله ، فى الخامسة صباحًا ، ولكنه لم يكد يفتح الباب حتى اتسعت عيناه فى ذهول ، وهتف بمزيج من الدهشة والاستنكار والغضب :

ــ أنت ؟!..

ابتسم (عصام) فى برود ، وهو يقول :

ــ نعم .. إنه أنا .. هل أدهشك بقائى على قيد الحياة حتى الآن ؟

ظلّ (فاروق) يحدّق فى وجهه لحظة أخرى ، ثم هتف فى خشونة :

ــ ماذا تريد منى ؟

لوّح (عصام) بكفه ، وهو يقول :

ــ أريد اعترافًا بسيطًا بارتكاب جريمة إشعال حريق فى ..

صاح (فاروق) فى وجهه بغضب :

لم يكد يفتح الباب حتى اتسعت عيناه فى ذهول ..

ــ لن تحصل منى على حرف واحد .

لم يكد يتم عبارته حتى ظهر العقيد (خيرى) من جانب الباب ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لا تتخذ هذا القرار بسرعة يا سيِّد (فاروق) فستقص على مَسامِعِى قصة حياتك كلها بعد لحظات ، فأنا العقيد (خيرى) ، من المباحث الجنائية .

شحب وجه (فاروق) ، وهو يلوِّح بكفه فى ذعر ، هاتفًا :

ــ لقد أدليت بكل ما لدىّ لرجال الشرطة .. ماذا تريدون منّى ؟

أزاحه العقيد (خيرى) عن طريقه ، ودلف إلى الشقة وهو يقول :

ــ القضية لم تنته بعد يا سيِّد (فاروق) .

نقل (فاروق) بصره فى توتُّر بين العقيد (خيرى) و (عصام) ، ثم غمغم فى صوت متحشرج مختنق :

ــ ماذا تريدون منى ؟

مال العقيد (خيرى) نحوه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أريد منك أن تقصّ علىَّ كل ما حدث منذ وصولك إلى المخازن ، وحتى مغادرتك لها يوم الحادث .

ازدرد (فاروق) لعابه ، وقال فى توتُّر :

ــ لقد كان يومًا عاديًا ، فلقد وصلت إلى العمل فى الثامنة والنصف صباحًا كالمعتاد ، ووصل بعدى (نجيب) ، ثم جاء الأستاذ (حجَّاج) ، واستمرّ العمل تقليديًا حتى الثالثة ، أو الثالثة إلّا الربع ، فانصرفت أنا و (نجيب) ، وتركنا للأستاذ (حجَّاج) إنهاء الدفاتر ، وإغلاق المخزن .

سأله العقيد (خيرى) :

ــ هل من عادة (حجَّاج) أن يكون آخر من يغادر المكان ؟

أومأ (فاروق) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ نعم .. إنه رئيس العمل ، ونحن ننصرف قبله دائمًا ، ثم إننى كنت أشعر ببعض الصداع ، وكنت أحتاج إلى قدح من الشاى ، وقرص من الأسبرين .

ران الصمت لحظة ، ثم عاد العقيد (خيرى) يسأله فى اهتمام :

ــ عندما ذهبت مع (نجيب) إلى السينما ، هل غادر أحدكما الآخر بعض الوقت ؟

عقد (فاروق) حاجبيه محاولًا التذكر ، ثم هتف :

ـــ آه .. نعم .. لقد قال لى (نجيب) إنه سيذهب إلى دورة المياه .. هذا كل ما حدث .

عاد يسأله :

ـــ وهل تغيَّب طويلًا ؟

قلَّب كفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى .. لقد كان الفيلم مثيرًا ، فلم أنتبه لفترة غيابه .

تبادل العقيد (خيرى) نظرة ذات مغزى مع (عصام) ، ثم نهض قائلًا :

ـــ حسنًا .. هذا يكفى .

ظلّ (فاروق) صامتًا حتى انصرف العقيـــد (خيرى) و (عصام) ، ثم انهار على مقعد مجاور ، وهو يغمغم فى عصبيَّة زائدة :

ـــ يا إلٰهى !!.. متى ينتهى هذا الكابوس ؟.. متى ؟

* * *

« هل تظن أنه الفاعل ؟.. » .

ألقى (عصام) هذا السؤال فى لهفة ، وهو يجلس إلى جوار العقيد (خيرى) ، فى سيَّارة هذا الأخير ، فى طريقهما إلى منزل (حجَّاج) ، فأجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

ـــ إننا لم ننته من استجواب الآخرين بعد .

هتف (عصام) فى حماس :

ـــ ولكن ألم تر ذاك الذهول ، الذى ارتسم على وجهه ، حينما وقع بصره علىَّ ؟.. لقد كان يتوقَّع أن أكون فى عداد الأموات .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ـــ هذا ليس دليلًا ، ولا تنس أنك تدق جرس منزله فى الخامسة صباحًا ، وهذا كفيل بإثارة دهشة وغضب أى مخلوق .

عقد (عصام) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـــ ربَّما .. ولكن هذا الرجل يثير ريبتى منذ البداية .

ثم أردف فى إصرار وعناد :

ـــ أراهنك أنه المتَّهم الأوَّل ..

* * *

استقبل (حجَّاج) (عصام) والعقيد (خيرى) فى دهشة حقيقية ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وهو يقول فى ترحاب تقليدى :

ـــ مرحبًا يا أستاذ (عصام) .. مرحبًا يا سيادة العقيد .. معذرَة ، فقد استيقظت توًّا ولم أرتد ثيابى بعد ..

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

ــ لا عليك يا سيِّد (حجَّاج) ، نحن اللَّذَيْنِ ندين لك بالاعتذار ، فالساعة لم تتجاوز السادسة إلا الربع بعد .

ابتسم (حجَّاج) ، وهو يقول :

ــ لا بأس .. كيف يمكننى خدمتكما ؟

سأله العقيد (خيرى) :

ــ ماذا حدث يوم الحادث ؟.. أعنى فى أثناء فترة العمل .

جاءت التفاصيل التى أدلى بها (حجَّاج) مطابقة تمامًا لما قاله (فاروق) ، واستمع إليه العقيد (خيرى) و (عصام) فى اهتمام ، ثم سأله العقيد (خيرى) :

ــ بصفتك رئيس المخازن ، هل تظن أنه من الممكن حدوث اختلاس ما ، دون أن يشعر به أحدكم ، حتى تحين لحظات الجرد ، أو التفتيش ؟

هزَّ (حجَّاج) كتفيه ، وقال :

ــ بالطبع .. فالمخازن بالغة الضخامة ، وهناك عشرات السَّيارات ، التابعة لمتاجر ومحال مختلفة ، تأتى يوميًّا لتحمل البضائع ، ومن الممكن أن تضاعف حمولة سيَّارة ما ، أو يتم تحميل سيَّارة غير مدوَّنة ، دون أن ينتبه أحد إلى ذلك .

ــ ومن يمكنه أن يفعل ذلك ؟

ــ أنا ، أو (فاروق) ، أو (نجيب) ، فكل منا يشرف على قطاع منفصل .

ــ أيهما أكثر إخلاصًا فى عمله ؟

ــ (نجيب) بالطبع .. فـ(فاروق) أكثر عصبية ، ربَّما بسبب ديونه و ...

ــ أية ديون ؟

ــ إنه شديد الإسراف ، حتى لينفق ما يتجاوز مرتبه أحيانًا .

ــ منذ متى ؟

ــ منذ ما يقرب من عام كامل .

ــ ومتى يعمل فى المخازن ؟

ــ منذ عام ونصف تقريبًا .

ران الصمت بعض الوقت ، بعد هذه الإجابة ، ثم نهض العقيد (خيرى) ، وقال فى هدوء :

ــ شكرًا يا أستاذ (حجَّاج) .. هذا يكفى .

ولم يكد ينصرف مع (عصام) ، حتى مال عليه ، قائلًا فى لهجة تحمل الكثير من المعانى :

ـــ يبدو أننى قد بدأت أميل إلى رأيك .. إن (فاروق) هو المشتبه فيه رقم واحد .

* * *

جاء انفعال (نجيب) شديد الشبه بانفعال (فاروق) ، حينما استقبل (عصام) والعقيد (خيرى) فى منزله ، فقد حدَّق فى وجه الأوَّل فى ذهول ، وهتف فى دهشة :

ـــ أنت ؟!

ثم لم يلبث أن استعاد هدوءه فى سرعة ، وهو يستطرد :

ـــ ماذا تريدان منِّى بالضبط ؟

أجابه العقيد (خيرى) :

ـــ بعض أسئلة فحسب .

ومرة أخرى جاءت قصة (نجيب) عمَّا حدث فى العمل ، مطابقة تمامًا لقصتى (فاروق) و (حجَّاج) ،فسأله العقيد (خيرى) :

ـــ لماذا انصرفت وحدك من السينما ؟

هتف (نجيب) فى دهشة واستنكار :

ـــ أنا ؟!.. لقد بقيت حتى نهاية العرض !

اندفع (عصام) يسأله فى حِدَّة :

ـــ ألَمْ تذهب إلى دورة المياه ؟

صاح (نجيب) فى غضب :

ـــ وهل يمنع القانون ذلك ؟

صاح (عصام) فى صرامة :

ـــ نعم .. حينما يكون ذلك مجرد عذر لمغادرة السينما ، وإشعال حريق فى المخازن .

بلغ توتُّر (نجيب) ذِرْوَتَه ، وهو يهتف :

ـــ إنه تعنُّت لا مبررَ له .

رفع العقيد (خيرى) كفيه فى صرامة ، ليمنعهما من مواصلة الصُّراخ ، ثم سأل (نجيب) :

ـــ هل تعلم أن صديقك (فاروق) شديد الإسراف ، كثير الديون ؟

غمغم (نجيب) فى سخط :

ـــ هذا شأنه .

ـــ ألا يمكن أن يدفعه هذا إلى الاختلاس ؟

ـــ لا أدْرِى .

ـــ لماذا ؟

ـــ أجب أنت عن هذا السؤال .

نهض العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ــ من الواضح أنك ترفض التعاون ؛ لذا فسنكتفى بهذا القدر ، وسنتقابل فيما بعد .

أشاح (نجيب) بوجهه ، وظلَّ صامتًا حتى غادرا مسكنه ، ثم التفت إلى هاتفه ، وغمغم فى سخط :

ــ لقد توصَّلا إلى شىء ما ، ولكننى لن أسمح لهما بمضايقتى بعد الآن أبدًا .

والتقط سمَّاعة هاتفه ، وهو يكررّ فى صرامة :

ــ أبدًا ..

* * *

٧ ــ محاولة قتل ثانية ..

أشارت عقارب الساعة إلى السابعة إلَّا عشر دقائق ، حينما سأل (عصام) العقيد (خيرى) ، وهو يُوصِّله بسيارته إلى منزله ، فى مدينة (نصر) :

ــ ما رأيك يا سيادة العقيد ؟

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يجيبه العقيد (خيرى) فى هدوء :

ــ من رأيى أن (فاروق) هو المشتبه فيه رقم (١) ، و (نجيب) مدان على نحو أو آخر ، ولكننا لا نملك دليلًا واحدًا ، يمكنه أن يقودنا إلى أحدهما .

اعتدل (عصام) ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ وماذا لو أنهما قد دبَّرا ذلك معًا ؟

هزَّ العقيد (خيرى) كتفيه ، وهو يغمغم :

ــ ربَّما .. ولكن فى هذه الحالة أيضًا يعوزنا دليل الإدانة .

زفر (عصام) فى ضيق ، وعقد معصميه أمام صدره ، وهو يغمغم :

ـــ يا لها من قضية !!

ابتسم العقيد (خيرى) ، وقال فى هدوء :

ـــ هكذا قضايا الحريق دائمًا ـــ من العسير أن تجد الفاعل ، دون دليل إدانة قوىّ ، فكل شىء يذهب مع النيران .

ثم أشار إلى الطريق الخالى أمامه ، وقال :

ـــ تمامًا كما لو ارتكب شخص مَا جريمة فى حىّ هادئ كهذا ، فى السابعة من صباح الجمعة ، حيث تكون القاهرة شبه خالية من المارّة ، ولم تبدأ حركة المرور بعد و ...

وبتر عبارته فجأة ، وهو يهتف :

ـــ يا إلهى !!.. إنها نبوءة !

كاد (عصام) يقفز من مقعده ، وهو يهتف :

ـــ ماذا تعنى يا سيادة العقيد ؟

زاد العقيد (خيرى) من سرعة سيارته فجأة ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ هناك سيارة تطاردنا يا (عصام) ، وعلى المقعد المجاور لسائقها يجلس رجل .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى حَنَق :

ـــ وهذا الرجل يصوِّب مسدَّسه إلينا .

واختلطت كلمته الأخيرة بصوت الرصاصة ..

* * *

كانت الرصاصة ، التى أُطْلِقَتْ نحو سيارة العقيد (خيرى) موجَّهةً نحو إطارها الأمامى الأيسر تمامًا ، ولكن انحرافه بسيَّارته يمينًا فى مهارة ، جعل الرصاصة ترتطم بأسفلت الطريق ، وتضيع بعيدًا ، وقبل أن يطلق المجرم رصاصته الثانية ، كان العقيد (خيرى) يدور بسيَّارته فى مهارة ، ليواجه السيَّارة المطاردة فى جرأة ، وهو ينتزع مسدَّسه الخاص ، ويصوِّبه إليه ، ولكنه رأى مسدَّس المجرم مصوَّبًا إلى زجاج سيَّارته الأمامىّ ، فصاح فى (عصام) :

ـــ انحن .

ولم يكد يتم كلمته حتى حطَّمت رصاصة المجرم زجاج السيَّارة الأمامىّ ، ومرقت منه ، لترتطم بالزجاج الخلفى ، وتعبره صانعة ثقبًا واسعًا ، فى حين أطلق العقيد (خيرى) رصاصة مسدَّسه ، وأصاب مسدَّس المجرم ، وأطاح به بعيدًا فانحرفت سيَّارة المجرمين فى سرعة ،ومرقت من جوار سيارة العقيد (خيرى) ، وابتعدت فى سرعة ، لتنحرف فى طريق جانبى ..

وضغط العقيد (خيرى) كمَّاحة سيارته ، وأوقفها إلى

جانب الطريق ، ونهض (عصام) ، وهو ينفض عن ثيابه بقايا الزجاج المحطَّم ، ويهتف فى جزع :

ــ إنها محاولة قتل أخرى .. إن هؤلاء الرجال لا يتورَّعون عن ارتكاب أى شىء ؛ لمنعنا من التوصُّل إلى الجانى .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ نعم يا (عصام) .. إنهم لا يتورَّعون عن ارتكاب أى شىء ، وهذا يؤكد أن الأمر أكثر خطورة مما نتصوَّر .. أكثر بكثير ..

* * *

تشاءب (عصام) فى قوَّة ، وفرد ذراعيه على جانبى جسده ، ثم فرك عينيه بأصابعه ، وهو يجلس فى حجرة مكتب العقيد (خيرى) ، الذى ابتسم وهو يقول :

ــ هل يداعبك النوم إلى هذا الحد ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ بل إنه يقاتلنى ، فلم أحظ بدقيقة واحدة منه منذ صباح أمس ، ولقد كانت الليلة الماضية مليئة بالأحداث والانفعالات .

غمغم العقيد (خيرى) :

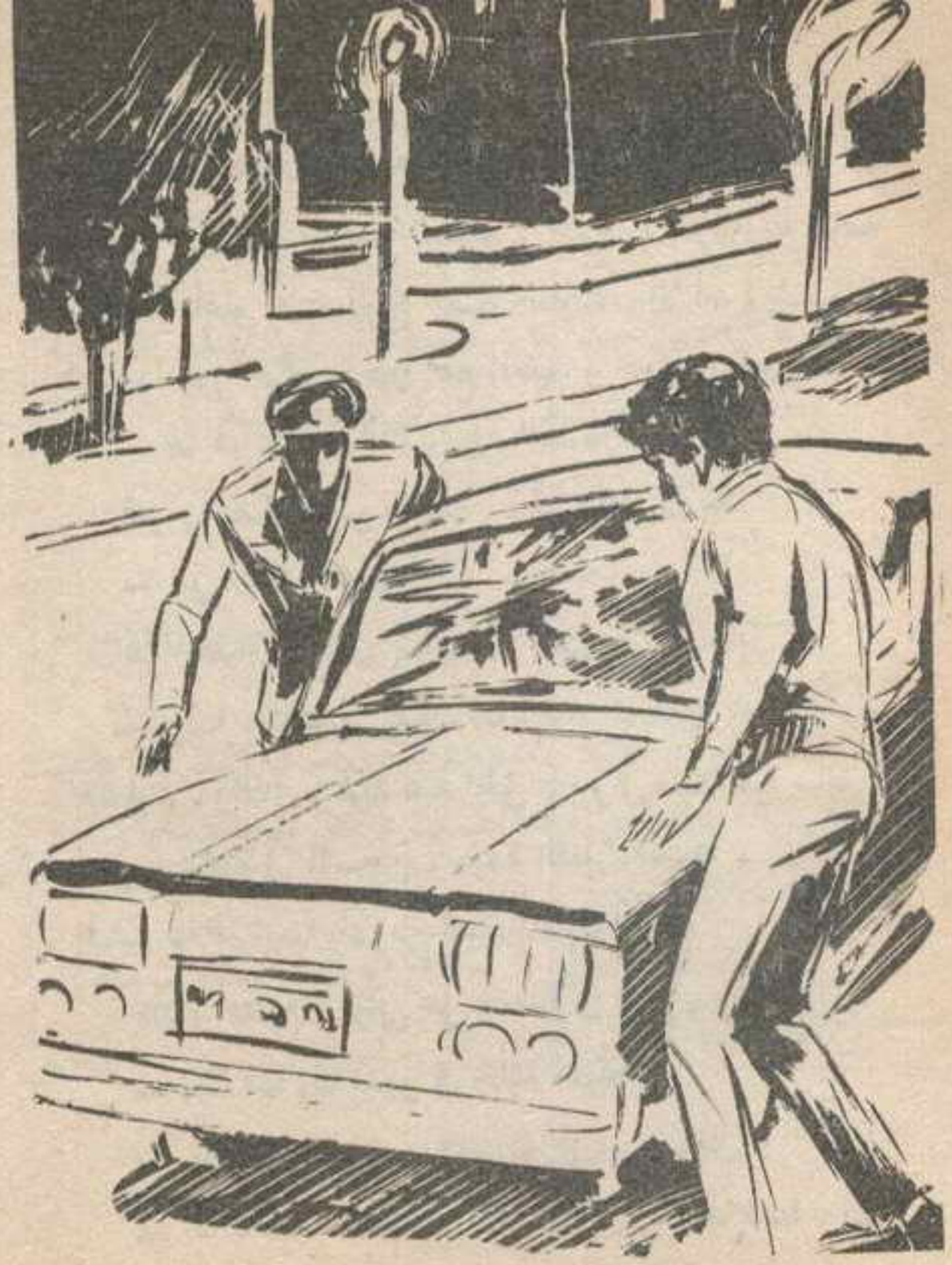

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يقول :
ــ نعم يا (عصام) .. إنهم لا يتورَّعون عن ارتكاب أى شىء ..

ـــ والغموض .

أومأ (عصام) برأسه موافقًا ، ورأى جنديًا يدخل إلى الحجرة ، ويؤدّى التحية للعقيد (خيرى) ، ويناوله ورقة مطوّية ، فأغلق عينيه ليريح جفنيه لحظات ، إلّا أنه لم يلبث أن فتحهما عن آخرهما ، حينما سمع العقيد (خيرى) يقول :

ـــ ها هو ذا أخيرًا تقرير رفع البصمات .

قفز (عصام) من مقعده ، وهو يهتف فى لهفة :

ـــ هل أضاف جديدًا ؟

هزَّ العقيد (خيرى) رأسه بلا معنى ، وهو يقول :

ـــ ربّما ، فالتقرير يقول إن أحد الرجلين هو (رشوان حامد) ، والثانى (فريد عبد الحق) ، وكل منهما مجرم سابق ، قضى سنوات فى السجن ، بتهمة القتل والسرقة ، ولم يمكن إثبات علاقة أيهما بأىّ من أمناء المخازن الثلاثة .

عاد (عصام) يرتمى على مقعده فى يأس ، وهو يقول :

ـــ إذن فما زلنا ندور فى حَلْقة مُفْرَغة .

مطَّ العقيد (خيرى) شفتيه فى أسف ، وقال :

ـــ أمّا بالنّسبة للسيّارة ، التى حاول راكباها قتلنا ، فهى مسروقة ، ولقد أبلغ صاحبها عن سرقتها منذ خمسة أيام .

زفر (عصام) فى قوّة . وهو يغمغم فى سخط :

ـــ يا لها من قضية !!

ساد الصمت طويلًا . قبل أن يقول العقيد (خيرى) :

ـــ اسمعنى جيّدًا يا (عصام) .. أريد منك ألّا تبلّغ (عماد) و (غُلا) عن دَوْرى فى هذه القضية .

سأله (عصام) فى دهشة :

ـــ لماذا ؟

ابتسم العقيد (خيرى) فى حَرَج . وغمغم فى صوت خافت :

ـــ لأننى سأتظاهر بعدم معرفة دورهم فى القضية ، فلقد سبق لى أن منعتهم من إقحام أنفسهم فى مثل هذه القضايا و ...

وضحك فى خجل ، وهو يردف :

ـــ وأنا واثق أن فريق (ع ×٢) وحْده ، يمكنه أن يتوصّل إلى حلّ قضية الحريق الغامض .

* * *

٨ ــ من الجانى ؟...

فى ردهة فيلّا أنيقة ، فى أرقى أحياء القاهرة ، وقف الرجلان ، اللذان حاولا قتل (عصام) والعقيد (خيرى) ، يرتجفان ، أمام رجل فى أواخر الخمسينات من عمره ، جلس ينفث دخان سيجارته فى غضب ، وهو ينقل بصره بينهما وبين الرجل الجالس إلى جواره ، قبل أن يهتف فى حَنَق :

ــ غبيّان .. أنتما أغبى رجالى .. كيف عجزتما عن التخلُّص من رجلين ؟

غمغم أحد الرجلين فى ضيق :

ــ لقد كان أحدهما ضابط شرطة يا سيّدى .

صاح الرجل فى غضب :

ــ وهذا يعنى أن الأمر أشدّ خطورة .

تمتم الرجل الجالس إلى جواره فى توتُّر :

ــ أعتقد أنك تبالغ كثيرًا يا (شاكر) بك .

التفت إليه (شاكر) فى غضب ، وهو يقول :

ــ أبالغ ؟!.. احتفظ بآرائك فى أعماقك .

عقد الرجل حاجبيه فى ضيق ، وهو يغمغم :

ــ إنك تزيد من تورّطى أيضًا .. لقد اتفقنا على أن يقتصر الأمر على اختلاس الأقمشة ، ولم نشر مطلقًا إلى القتل .

بدا وجه (شاكر) شديد الصَّرامة ، وهو يقول :

ــ اسمع يا رجل .. لقد كنت منذ عام واحد مجرَّد أمين مخازن فى شركة النيل ، أمَّا الآن فأنت تملك نصف مليون جنيه تقريبًا .. هل أنت مستعد للتضحية بكل هذا المبلغ ، من أجل حياة صحفىّ سخيف ، يظن نفسه أكثر أهل الأرض عبقريَّة ؟

هتف الرجل فى غضب :

ــ صحيح أننى أملك نصف مليون جنيه ، ولكننى اختلست من أجلك أقمشة تساوى خمسة ملايين ، على مدار العام .

صاح (شاكر) فى وجهه بصرامة :

ــ وسأقتل ملك النرويج نفسه فى سبيل الحفاظ على ما حصلت عليه .

ونفث دخان سيجارته ، وهو يستطرد فى لهجة تنطوى على التهديد :

ــ ثم إنك المسئول عن حريق المخازن ، ولو واصل ذلك الصحفىّ تحقيقاته فسيكون مصيرك هو السجن .

هتف الرجل فى صرامة :

ــ لن يمكنهم إثبات تورُّطى أبدًا .

لوَّح (شاكر) بكفه فى ازدراء ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ لا تبالغ فى تفاؤلك يا صديقى .. لقد راجعت كل تحقيقات هذا الصحفى السابقة ، التى يوقِّعها باسم (ع × ٢) ، وهو لم يفشل فى قضية واحدة حتى الآن ، على الرغم من أن كل المجرمين ، الذين ألقى بهم فى السجون ، كانوا أكثر ذكاءً منك .

هتف الرجل فى عصبية :

ــ اسمع يا (شاكر) بك .. لقد نفَّذت الحريق بوسيلة معقَّدة ، بالغة الذكاء و ...

قاطعه (شاكر) فى صرامة :

ــ لابدَّ من قتل الصحفى ، أو نخسر كل اللعبة .

تردَّد الرجل لحظات ، ثم أطرق برأسه ، وغمغم فى استسلام :

ــ إذا كان هذا ضروريًّا .

ابتسم (شاكر) فى ظفر ، وتألَّقت عيناه وهو يلتفت إلى رجليه ، قائلًا :

ــ أريد أن أقرأ خبر مصرع هذا الصحفى ، فى صحف الغد .

* * *

هتفت (عُلا) فى حماس ، بعد أن استمعت مع شقيقها إلى حديث (عصام) :

ــ رائع يا أستاذ (عصام) .. لقد قمت بعمل ممتاز ، باستجوابك الرجال الثلاثة .

تضرَّج وجه (عصام) بحمرة الخجل ، وهو يغمغم :

ــ إننى لا أستحق كل هذا الثناء ، فأنا لم أفعل شيئًا فى الواقع .

قال (عماد) فى حماس مماثل :

ــ بل لقد فعلت الكثير يا أستاذ (عصام) ، فهذه المعلومات الجديدة عظيمة الفائدة .

قلَّب (عصام) كفَّيْه فى حيْرة ، وهو يقول :

ــ كيف ؟!.. إننى لا أجد فيها جديدًا ، سوى وضع (فاروق) موضع الشبهات .

تبادل (عماد) و (عُلا) ابتسامة غامضة ، جعلته يستطرد فى سخط :

ــ أليس كذلك ؟

أجابه (عماد) فى لهجة مهذَّبة :

ــ بالطبع يا أستاذ (عصام) ، ولكننا مازلنا نحتاج إلى معلومة أخرى .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لقد أدلى الرجال بكل ما لديهم

قالت (عُلا) :

ــ هذا صحيح يا أستاذ (عصام) ، وأقوالهم تكفينا تمامًا ، ولكننا نحتاج إلى إلقاء سؤالين محدودين على الخفير .

سألها (عصام) فى دهشة :

ــ الخفير ؟!.. أى سؤالين ؟.

أخبره (عماد) بالسؤالين ، فحدَّق (عصام) فى وجهه بدهشة ، وهتف فى حَيْرة :

ــ ولكن هذا يقلب الأمور كلها رأسًا على عقب يا (عماد) .

ابتسمت (عُلا) ، وهى تقول فى رزانة بدت عجيبة مع حجمها وسنِّها الصغيرين :

ــ لا تتعجَّل النتائج يا أستاذ (عصام) .. ربَّما جاءت النتائج سلبية .

هزَّ رأسه فى دهشة ، ثم نهض قائلًا :

ــ لا بأس .. سألقى سؤاليكما على الخفير ، ولكننى أكاد أوقن أن إجابته ستكون سلبية

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرتهما الغامضة مرة أخرى ، ثم قال (عماد) فى هدوء :

ــ سنرى .

* * *

أخذ (عصام) يقلِّب الأمر فى رأسه عشرات المرات ، وهو يقطع الطريق على قدميه إلى حيث تم احتجاز الخفير ، وبدا له سؤالا (عماد) و (عُلا) بالغى الغرابة . حتى أنه غمغم فى خفوت :

ــ كيف يفكِّر هذان الصغيران ؟.. أراهن أنهما قد فشلا فى استنتاجهما هذه المرَّة .

وشردت أفكاره طويلًا فى محاولة دراسة الأمر ، وتحليل الحقائق ، وترتيبها ، حتى سمع فجأة صوتًا من خلفه يقول :

ـ ما رأيك فى نزهة صغيرة يا أستاذ (عصام) ؟

وقبل أن يلتفت إلى صاحب الصوت ، شعر بفوَّهة مسدَّس باردة تلتصق بظهره ، وسمع الرجل يستطرد فى خشونة :

ـ نزهة إجباريَّة .

٩ ـ مطلوب للقتل ..

لم يدر (عصام) كيف استقبل الأمر هذه المرَّة على نحو مختلف ..

ربَّما لأنه كان قد سئم المحاولات المتواصلة للتخلُّص منه ..

وربَّما لأنه كان يسير هذه المرة فى شارع مزدحم ، وفى وضح النهار ..

أو ربَّما لأنه أصبح يضيق بالأمر كله ..

أو كل هذه العوامل مجتمعة ..

المهم أن (عصام) قد أدهش مهاجميه ، وأدهش نفسه أيضًا ، حينما دار على عقبيه فى سرعة وجرأة ، ودفع مسدَّس الرجل الأوَّل بعيدًا ، ثم لكم الثانى بكل ما يملك من قوَّة فى فكه ، ثم رفع قدمه ، ودفعها فى معدة الأوَّل ، وانطلق يعدو عبر الطريق ؛ وسط السيارات التى ارتفع صرير عجلاتها ، وصيحات المارَّة المندهشة المشدوهة ..

ولم يكد يصل إلى الجانب الآخر من الطريق ، حتى بدأ

الرجلان مطاردته ، واخترقا الطريق بدورهما ، ووصلا إلى الجانب الآخر ، قبل أن يختفى (عصام) فى أقرب منحنى ، وواصلا عدوهما خلفه ، وهو يركض بأقصى ما يملك من سرعة ، ولكن الطريق المزدحم أعاق اندفاعه أكثر من مرّة ، حتى ارتطم برجل ضخم ، وسقط كلاهما أرضًا ..

ولم يكد (عصام) يعتدل ، حتى أمسك أحد الرجلين المطاردين بمعصمه الأيسر ، وهتف الآخر وهو يلهث :

ــ لا تحاول .. إننا لن نتركك هذه المرّة .

ولكن (عصام) ضمَّ قبضته اليمنى ، وهوى بها على فك الرجل ، الذى يمسك معصمه ، وسمع صوت أسنانه وهى تتحطَّم ، وتختلط بتأوُّهاته ، وهو يُرْخِى أصابعه عن معصمه ، فتجاهل كل الأحاسيس المؤلمة ، التى ولَّدها الاشمئزاز فى أعماقه ، ولكم الثانى فى معدته ..

وفى حركة سريعة أخرج الرجل الأوَّل مسدَّسه ، وصاح فى غضب :

ــ سأقتلك هذه المرَّة .. سأقتلك .

انطلقت صرخات المارَّة فى ذعر ، وهم يركضون مبتعدين ، والتصق (عصام) بالحائط ، واتسعت عيناه فى ذعر ، وهو يهتف :

ولكن (عصام) ضمَّ قبضته اليمنى ، وهوى بها على فك الرجل ، الذى يمسك معصمه

ـــ أيها المجرم .. أيها القاتل .

وارتجف جسده على صوت الرصاصة ..

* * *

شهق (عصام) فى قوّة ، عندما اخترق صوت الرصاصة أذنيه ، ثم لم يلبث أن شعر بدهشة عارمة ، حينما صكّت مسامعه صرخة ألم ، دون أن تنطلق من بين شفتيه ، أو يشعر بأثرها فى أعماقه ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يحدّق فى يد الرجل ، الذى كان يصوّب إليه مسدّسه منذ لحظة واحدة ، وهى تُدْمَى فى غزارة ، وهو يحاول إيقاف النزيف فى ألم ، ثم انتقل بصره إلى الطريق ، وزفر فى قوّة عندما رأى ضابطى شرطة ، وثلاثة من أمناء الشرطة ، يُهْرَعون نحوه ، والدُّخان يتصاعد من فوّهة مسدّس أحد الضابطين ، وهتف فى حرارة :

ـــ يا إلهى !! سأقيم تمثالًا لرجال الشرطة فى رَدْهة منزلى .

صاح به أحد الضابطين فى صرامة :

ـــ ماذا يحدث هنا ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى حماس :

ـــ الذى حدث هو أنكم قد وصلتم فى الوقت المناسب ، لإنقاذ حياتى ، للمرّة الثانية .

حَدَجَه الضابط بنظرة دهشة ، قبل أن يهتف فى غضب :

ـــ ما هذا الهراء ؟

اتسعت ابتسامة (عصام) ، وهو يقول فى ارتياح :

ـــ رُوَيْدَك أيها الضابط ، سأخبرك بكل شىء ، ولكن عليك أن تتّصل أوّلًا بالعقيد (خيرى) ، فى المباحث الجنائية ، وقل له إننا قد عثرنا أخيرًا على أول الخيط ، وسيقودنا هذا بلا ريب إلى حلّ لغز الحريق الغامض .

* * *

تطلّع العقيد (خيرى) إلى وجهى الرجلين ، اللذين يقفان فى حجرته ، والأغلال تحيط بمعصميهما ، وقال فى صرامة :

ـــ أما زلتما تصرّان على التزام الصمت ؟.. إنكما مُتَّهمان بالشروع فى قتل .

أجاب أحد الرجلين فى خشونة :

ـــ ليس لدينا ما نقوله ..

حَدَجَه العقيد (خيرى) بنظرة قاسية ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـــ للمـرّة الأخيرة .. مَنْ أرسلكما لقتل الأستاذ (عصام) ؟

أشاح الرجلان بوجهيهما ، دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة ، فقال (عصام) فى ضيق :

ــ لا فائدة يا سيادة المقدّم .. من الواضح أنهما يخشيان الاعتراف .

جلس العقيد (خيرى) خلف مكتبه ، وشبّك أصابع كفّيه أمام وجهه ، وهو يتطلّع إلى الرجلَيْن فى صرامة . ثم التفت إلى (عصام) ، وسأله فى هدوء :

ــ هل أبلغت (عماد) و (عُلا) بما توصّلنا إليه ؟

أجابه (عصام) فى ضيق :

ــ نعم .

سأله العقيد (خيرى) فى اهتمام :

ــ وهل توصّلا إلى شىء ما ؟

هزّ (عصام) كتفيه ، وهو يقول :

ــ لست أدرى .. كل ما فعلاه هو أن طلبا منى إلقاء سؤالين على الخفير .

اعتدل العقيد (خيرى) بحركة حادّة ، وهو يقول :

ــ أى سؤالين ؟

أخبره (عصام) بالسؤالين ، فبدت الدهشة على وجه العقيد (خيرى) ، وهو يتمتم :

ــ يا إلهى !!

ثم عقد حاجبيه ، واستغرق فى تفكير عميق طويلًا ، ثم زفر وهو يقول :

ــ لا ريب أن لديهما مبرّرًا قويًّا ، أو ..

وعاد إلى صمته مرّة أخرى ، ثم التقط سمّاعة هاتفه فى حركة خاطفة ، وأدار رقمًا ، ليقول فى لهجة آمرة :

ــ اطلب من أمناء المخازن الثلاثة الحضور إلى مكتبى ، بعد ساعة واحدة ، وأحضر لى الخفير المتهم .

ثم وضع السمّاعة ، والتفت إلى (عصام) ، قائلًا :

ــ اذهب لإحضار (عماد) و (عُلا) .

سأله (عصام) فى دهشة :

ــ ماذا تنوى أن تفعل يا سيادة العقيد ؟

أجابه فى صرامة :

ــ سنواجه الجميع بعضهم ببعض يا (عصام) ، وسندير العملية هذه المرة بقيادة فريق (ع × ٢) .

* * *

١٠ ــ المواجهــة ..

بدا أمناء المخازن الثلاثة شديدى التوتُّر ، وهم ينقلون أبصارهم بين العقيد (خيرى) ، و (عصام) ، و (عماد) و (عُلا) ، والمجرمَيْن المكبَّلَيْن بالأغلال ، ثم هتف (فاروق) فى عصبية :

ــ ألن ينتهى التحقيق فى هذه القضية أبدًا ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

ــ اطمئن يا سيِّد (فاروق) .. إنكم لن تغادروا هذه الحجرة ، إلَّا بعد أن تكون القضية قد انتهت .

زفر (حجَّاج) ، وهو يقول :

ــ أتعشَّم ذلك .

أمَّا (نجيب) ، فقال فى توتُّر :

ــ هل تتَّهمون أحدَنا بارتكاب الحادث ؟

لم يجبه العقيد (خيرى) ، فى حين تقدَّم (عصام) نحوهم ، وأشار إلى (عماد) و (عُلا) ، قائلًا :

ــ أحب أن أقدِّم لكم أوَّلًا (عماد) و (عُلا) .. فريق (ع × ٢) الحقيقىّ ، الذى يحُلّ دومًا لغز كلّ القضايا ، التى أنشر تحقيقاتها فى الجريدة ، بالتوقيع الذى يحمل اسمهما .

تطلَّع إليهما الجميع فى استنكار ، وهتف (فاروق) فى سخط :

ــ إذا كنَّا هنا لمشاهدة موقف هزلىّ ، فأنا أفضِّل الذهاب إلى السينما .

أجابه (عصام) فى سخرية :

ــ كما فعلت ليلة الحادث .. أليس كذلك ؟

احتقن وجه (فاروق) غضبًا ، فى حين قال (نجيب) فى توتُّر :

ــ فليكن .. سنوافق جميعًا على أن هذين الصبيَّين لهما عبقريَّة (شرلوك هولمز) ، ما علاقة ذلك بموقفنا نحن ؟

أشار العقيد (خيرى) إلى ولديه ، وهو يقول :

ــ لقد درس ولداى القضية كلها ، ونجحا فى التوصّل إلى الوسيلة التى تمّ بها إحداث الحريق .

ابتسم (فاروق) فى سخرية ، وهو يقول فى عصبية وازدراء :

ـــ هذان الصغيران ؟!

تجاهل العقيد (خيرى) سخريته ، والتفت إلى (عماد) و (عُلا) ، قائلًا :

ـــ أخبراه بما توصّلتما إليه .

قال (عماد) فى هدوء :

ـــ لقد تمّ ارتكاب الحادث بذكاء نادر ، وعبقريَّة منظمَّة ، من المؤسف أن يستغلها صاحبها فى الجريمة ، بدلًا من أن يفيد بها وطنه ...

لقد أحضر المجرم معه ، يوم الحادث ، زجاجة مملوءة بالبنزين ، وسلكًا كهربائيًّا وقطعة من الثلج ، وعندما حان وقت الانصراف وضع قطعة الثلج على حافة مكتبه ، وفوقها زجاجة البنزين ، ثم أوصل السلك الكهربائىَ بالتيار ، وأوصل أحد طرفيه بباب المخزن ، وأوصل الطرف الآخر بالجدار الملاصق للباب ، وعلى مسافة تسمح بتلامس الطرفين عند فتح الباب بحركة حادَّة ، ثم انصرف ..

وعندما ذابت قطعة الثلج مالت زجاجة البنزين ، حتى وصل ميلها إلى درجة كبيرة ، فسقطت من فوق المكتب ، وتحطَّمت ، وسال ما بها من بنزين على الأرض ، وجذب صوت

تحطمها الخفير ، فأسرع إلى المخزن ، ولم يكد يدفع بابه حتى تلامس طرفا السلك ، فنشأ من تلامسهما ماسٌّ كهربىَ ، أشعلت شرارته البنزين المنسكب ، فاندلعت النيران فجأة ، مما أفزع الخفير ، ودفعه إلى الهرب ..

استمع إليه أمناء المخازن الثلاثة فى دهشة ، ثم هتف (نجيب) :

ـــ إنه تصوُّر مغرق فى الخيال .

قالت (عُلا) :

ـــ بالعكس يا أستاذ (نجيب) .. إنه يفسِّر ثلاثًا من نقاط الغموض .. بقايا السلك ، وقطع الزجاج المحطَّمة ، واندلاع النيران المفاجئ .

صاح (فاروق) فى عصبية :

ـــ هذا يبدو أشبه بالأفلام البوليسية ، ثم إنه لا يوجد دليل واحد و ....

قاطعه العقيد (خيرى) فى صرامة :

ـــ انتظر .. إن الحديث لم ينته بعد .

ثم أشار إلى رجل الشرطة ، الذى يقف عند الباب ، وهو يستطرد :

ولم يكد يدفع بابه حتى تلامس طرفا السلك ، فنشأ من تلامسهما

— أحضر الخفير .

لم تكد تمضى لحظات حتى عاد الشرطى بالخفير ، الذى بدا مضطربًا متوتّرًا ، فالتفت العقيد (خيرى) إلى ولديه ، وقال :

— ألقيا عليه سؤاليكما .

تطلّع الخفير فى دهشة إلى (عماد) و (غُلا) ، وزادت دهشته حينما سألته (غُلا) فى هدوء :

— هل اعتدت غسل أكواب الشاى الفارغة ، بعد انصراف أمناء المخازن ؟

أجابها الخفير فى حَيْرة :

— هذا صحيح يا بنيَّتى ..

سأله (عماد) :

— كم كوبًا تغسل فى كل مرة ؟

زادت حَيْرة الخفير ، وهو يجيب :

— ثلاثة .

سألته (غُلا) :

— وكم كوبًا غسلت فى اليوم السابق للحادث ؟

هزَّ الخفير رأسه فى دهشة ، وهو يقول :

— كوبين فقط يا بنيَّتى .. لماذا تسألين ؟

سأله (عماد) فى اهتمام :

ـــ وفى يوم الحادث ، هل كان إناء حفظ السوائل الخاص بالأستاذ (حجّاج) متّسخًا كالعادة ببقايا الشاى ؟

عقد الخفير حاجبيه محاولًا التذكر ، ثم غمغم فى حَيْرة :

ـــ أظن أنه لم يكن متّسخًا كالعادة .. كان أقل قليلًا .

هتف (حجّاج) فى توتُّر :

ـــ ماذا تعنيان بهذه الأسئلة يا صغيرىَّ ؟

أجابه (عماد) فى صرامة :

ـــ انتظر يا أستاذ (حجّاج) .

ثم التفت إلى الخفير يسأله :

ـــ وهل غسلت الأكواب يوم الحادث ؟

أجابه الخفير فى دهشة :

ـــ لم تكن هناك أكواب متسخة يا ولدى .

عاد (حجّاج) يهتف بمزيد من التوتُّر :

ـــ ماذا تعنيان ؟

استدارت إليه (عُلا) ، وهى تقول فى حِدَّة :

ـــ ألم تفهم بعدُ يا سيِّد (حجّاج) ؟.. إننا نعنى بأسئلتنا أنك أنت المجرم .. أنت الذى أشعل الحريق الغامض يا أستاذ (حجّاج) .

* * *

١١ ـــ المفاجأة ..

تراجع (حجّاج) بحركة حادَّة عنيفة ، كمن أصابته صاعقة ، أمام هذا الاتهام المباشر الصريح ، وحدَّق زميلاه فى وجهه بذهول ، فى حين عقد المجرمان حاجبيهما ، وأشاحا بوجهيهما ، دون أن ينبس أحدهما بحرف واحد ، وهتف (حجّاج) :

ـــ ما هذا الهُراء ؟.. لقد قضيت ليلة الحادث فى منزل صهرى ، والجميع يشهدون على ..

قاطعته (عُلا) :

ـــ لم تعد هناك قيمة لذلك الدليل يا أستاذ (حجّاج) ، فالوسيلة التى ارتكب بها الحادث ، لا تحتاج إلى وجود الجانى فى مسرح الجريمة ، ولقد كان من الذكاء أن تختار ليلة عيد ميلاد ابن شقيق زوجتك بالذات ، لتنفّذ جريمتك ، حيث ستجد عشرات الشهود على بعدك عن مكان الجريمة ، خاصةً بعد أن حطّمت قفل الباب مُسبَقًا ، ليبدوَ وكأن أحدهم اقتحم المخزن بالقوَّة .

صاح (حجّاج) فى توتُّر :

ــ ولماذا أنا بالذات ؟.. لِمَ لا يكــون (فاروق) أو (نجيب) هو مرتكب الحادث ؟

أجابه (عماد) :

ــ سأخبرك أنا لماذا يا أستاذ (حجاج) .

ثم التفت إلى الجميع ، مستطردًا فى هدوء :

ــ حينما تواجهنا قضية غامضة معقّدة ، لا نولى اهتمامنا إلى الأحداث الكبيرة فحسب ، بل نتجاوزها عادةً إلى النقاط الصغيرة ، التى لاينتبه إليها أحد ، ومنها نعثر على حل الغموض ، ومفتاح القضية ، وفى قضية الحريق هذه كانت الأحداث الكبيرة كلّها تعقّد الأمور ، أو تلقى الشبهة على (فاروق) أو (نجيب) ، ولكن الأحداث الصغيرة كلها كانت تقود إلى (حجّاج) .

هتف (حجّاج) فى عصبية :

ــ هل ستستمعون إلى فلسفة صبىّ صغير ؟

تجاهل الجميع احتجاجه ، وواصلوا الاستماع إلى (عماد) و (عُلا) ، حيث التقــطت الأخيرة خيــط الحديث من شقيقها ، وأكملت قائلة :

ــ لقد قال الخفير فى أثناء استجوابــه : إن السيّــد (حجّاج) أعطاه إناء الحفظ الخاص به عند انصرافه ، ليغسله كالمعتاد ، فى حين قال الأستاذ (فاروق) : إنه انصرف ؛ لأنه كان يشعر بصداع ، ويحتاج إلى كوب من الشاى وقرص من الأسبرين ، ولقد بدا لنا هذا عجيبا ، مادام زميله (حجّاج) قد اعتاد إحضار كمية من الشاى فى إنائه يوميًّا وكان هذا التناقض يعنى واحدًا من اثنين ، إما أن الشاى الذى أحضره الأستاذ (حجّاج) قد نفد ، وإمّا أنه لم يُحْضِر شيئًا منه فى ذلك اليوم على الإطلاق ، وبترتيب الأحداث بدا لنا الاحتمال الثانى هو الأرجح ، وبالذات ؛ لأنك آخر من غادر المخزن ، وأنت الوحيد الذى كان يمكنه تحطيم قفله ، والتظاهر بإغلاقه ، فلو فعل (فاروق) أو (نجيب) هذا ؛ لكشفت أنت الأمر وأنت تغلق المخزن .

هتف (فاروق) فى دهشة :

ــ يا إلهى !!.. هذا صحيح إنه لم يحضر الإناء فى ذلك اليوم !. هذا ما أخبرنا به على الأقل !

أجابه (عماد) :

ــ وإنما أحضر حقيبته كالمعتاد ، ولقد كنا نحتاج إلى سؤال الخفير حتى يمكن التيقن مما توصّلنا إليه .

صاح (حجّاج) فى عصبية :

ــ التيقُّن من ماذا ؟.. إنكما مجرَّد صبيَّين !!

ابتسمت (عُلا) ، وهى تقول :

ــ حسنًا يا أستاذ (حجّــاج) .. استمــع إذن إلى ما سيقوله الصبيَّان .

وأكمل (عماد) قائلًا :

ــ فى اليوم السابق للحادث ، وبعد أن تناولت مع زميليك أقداح الشاى ، عمدت إلى إخفاء بقايا قدح الشاى الخاص بك فى مكتبك ، وفى اليوم التالى أخبرت زميليك أنك لم تحضر إناء الحفظ كالمعتاد ، ولكنك كنت قد أحضرته فى حقيبتك فى الواقع ، ولكنه لم يكن يحوى شايًا ، بل قطعًا من الثلج . داخل كيس أسطوانى ، وبعد انصراف زميليك أسرعت تعــدّ السلك الكهربىّ ، ثم أخرجت قطع الثلج من الإناء ، الذى حافظ عليه فى حالة التجمد بحكم طبيعته ، ووضعتها على طرف مكتبك ، وفوقها زجاجة البنزين ، التى أحضرتها فى حقيبتك خِفْيَة ، ثم أخرجت كوب الشاى ، الذى تحتفظ به من اليوم السابق ، وسكبت بقاياه فى إناء الحفظ ، وأعطيته للخفير . الذى قام بغسله كالمعتاد ، دون أن ينتبه ــ حينئذ ــ إلى قلة محتوياته من

بقايا الشاى ، وبعدها انصرفت إلى منزلك ، وذهبت لحضور حفل عيد ميلاد ابن شقيق زوجتك ، وأنت مطمئن إلى أن الخطة ستسير كما يرام ، وهذا ما حدث بالفعل ، وبعد ذلك حاولت أن تتخلَّص من الأستاذ (عصام) ، حينما بدأ يستجوب أمناء المخازن ، وتعمَّدت إلقاء الشبهات على (فاروق) و (نجيب) حينما كشفت أنه قد نجا ، ولكن أسلوبك فى ذلك لم يكن بنفس البراعة ، فمحاولتك لتوريطه أعطتنا دليل براءته .

ضحكت (عُلا) ، وهى تكمل قائلة :

ــ هذا صحيح ، فلو أنه مثقل بالديون حقًّا ، فكيف تأتَّى له اختلاس الملايين ؟.. لو أنه يفعل ذلك منذ عام ــ كما قلت أنت ــ ما كان مثقلًا بالديون الآن ، بل لأصبح فى بحبوحة من العيش .

تراجع (حجّاج) فى ذعر ، وهو يلوِّح بذراعيه ، هاتفًا :

ــ إنها قصة بلا دليل .. لن يمكنكم إثبات حرفٍ واحدٍ من كل هذا .. إنه محض استنتاج فحسب ، ولن يقنع أى قاض ، أو وكيل نيابة ، باستنتاج صبيَّين .

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

ــ إنها مسألة وقت فحسب يا (حجّاج) ، فسنكتشف

تحرياتنا حولك ، وسننبش موضع كل خطوة خطوتها ، ونستجوب كلَّ مَنْ له علاقة بك ، ولن يطول الوقت حتى نجد دليلًا يقودنا إلى أول الخيط ، الذى سيلتفّ حول عنقك فى النهاية .

شحُب وجه (حجَّاج) ، حتى بدا فى عينى (عصام) صالحًا للإعلان عن مساحيق الغسيل الصناعية ، وهو ينقل عينيه الزائغتين بين الحاضرين ، ويتراجع مرتعدًا ، فى حين أردف العقيد (خيرى) بنفس الهدوء :

ــ أضف إلى ذلك أن عدم تعاونك سيزيد من قسوة عقوبتك ، ثم إنك ستتهم بالشروع فى قتل (عصام) أيضًا ، وبإضافة هذه التهمة إلى تهمتىْ الاختلاس والحريق ، لن تقلّ عقوبتك عن ..

قاطعه (حجَّاج) ، وهو يلوّح بذراعيْه ، ويهتف فى ذعر :

ــ كلَّا .. لقد كنت أرفض قتله .. كل ما طلبته هو رشوته فحسب ، أما القتل فلم ..

بتر عبارته فجأة ، وازداد شحوبه إلى درجة مفزعة ، حينما أدرك أنه قد أوقع بنفسه ، ومنحهم اعترافًا ضمنيًّا بجريمته ،

بتر عبارته فجأة ، وازداد شحوبه إلى درجة مفزعة ، حينما أدرك أنه قد أوقع بنفسه ، ومنحهم اعترافًا ضمنيًّا بجريمته ..

فدارت عيناه فى محجريهما ، وانهار فوق أقرب المقاعد إليه ، وهو يغمغم فى شحوب :

ــ لقد كنت غبيًا .. لقد أغرانى المال .

ثم رفع عينيه إلى العقيد (خيرى) فى ضراعة ، وهو يستطرد :

ــ هل يقلّل اعترافى من العقوبة ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى برود :

ــ بعض الشىء .

أطرق (حجّاج) برأسه ، وانهمرت دموع النّدم والمذلّة من عينيه ، وهو يغمغم فى شحوب وخفوت :

ــ سأعترف .. سأخبركم بكل شىء .

* * *

١٢ ــ السقوط ..

تطلّع (شاكر) بك إلى (عصام) فى صرامة ، ونفث دخان سيجارته فى بطء ، قبل أن يقول فى برود :

ــ آسف يا أستاذ (عصام) .. إننى أكره الأحاديث الصحفية .

ابتسم (عصام) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ولكن هذا الحديث بالغ الأهمية ، يا (شاكر) بك ، فأنت الآن صاحب أكبر مصنع نسيج خاص فى مصر ، وسيهم القراء معرفة سر نجاحك .

مطّ (شاكر) شفتيه ، وهو يقول فى برود :

ــ إننى أفضّل الاحتفاظ بهذ السّر لنفسى .

هتف (عصام) فى حماس مفتعل :

ــ مستحيل يا (شاكر) بك .. إن مصر كلها تتوق لمعرفة السّر .

صاح (شاكر) فى غضب :

— أىُّ سِرّ ؟.. إننى رجل أعمال عادىّ .

رفع (عصام) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول فى سخرية :

— رجل أعمال عادىّ ؟!.. لا تتواضع هكذا يا (شاكر) بك .. إنك رجل أعمال غير تقليدىّ .. رجل أعمال خطير ، كما تؤكد تحرّياتنا .

ارتجفت السيجارة بين أصابع (شاكر) ، وهو يغمغم فى ارتجاف :

— تحرّياتكم ؟!.. أية تحرّيات ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— تحرّياتنا الخاصّة يا (شاكـــر) بك .. أراهـــنك أنها ستدهشك .

وعقد حاجبيه ، وكأنما يحاول التذكُّر ، وهو يستطرد :

— إن تحرّياتنا تقول إنك منذ عام واحد كنت مجرَّد تاجر أقمشة وملابس ، ثم تعرَّفت (حجّاج) ، أمين مخازن شركة النيل للمنسوجات ، وبمعاونته اختلستما على مدار العام ، كميات ضخمة من الأقمشة ، تقدَّر حتى الآن بخمسة ملايين جنيه تقريبًا ، وعندما حان موعد الجرد السنوىّ ، قررتما ضرورة

حرق المخازن ، حتى يستحيل إثبات الاختلاس ، وحينما وجدتمانى فى طريقكما ، حاولتما التخلّص منّى ، حتى لا أكشف أمركما .

حاول (شاكر) أن يلتقط أنفاس سيجارته ، ولكن جفاف حلقه جعل دخانها أشبه بعمود من النار ينفذ إلى رئتيه ، فسعل فى قوة ، واستمر سعاله عدة دقائق ، قبل أن يغمغم فى صوت مختنق ومتوتّر :

— كم تريد يا أستاذ (عصام) ؟

ابتسم (عصام) فى خبث ، وهو يقول :

— هل تعرض علىّ رشوة ؟

أجابه (شاكر) فى انفعال :

— يمكنك اعتبارها كذلك .

تظاهر (عصام) بالتفكير ، ثم قال فى هدوء :

— ما رأيك فى خمسة ملايين جنيه ؟

عقد (شاكر) حاجبيه ، وهو يقول فى توتُّر :

— لا تسخر منّى يا أستاذ (عصام) .

ثم مال نحوه مستطردًا :

— سأدفع لك مائة ألف جنيه ، فى مقابل نسيان كل ما لديك من معلومات تمامًا .

أطلق (عصام) ضحكة ساخرة، أثارت أعصاب (شاكر)، فصاح فى غضب :

ــ مائة وخمسون ألفًا .. لن أدفع قرشًا واحدًا فوق ذلك .

مال (عصام) نحوه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ ما رأيك بعشر سنوات على الأقل ، خلف قُضْبَانِ السِّجن ؟

اتَّسعت عينا (شاكر) فى ذُعْر ، وهو يهتف :

ــ ماذا ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ بالنسبة لجريمتى السرقة وإشعال الحريق فقط بالطبع ، ولكننا سنضيف إلى ذلك جريمة الشروع فى القتل ، فترتفع العقوبة إلى ..

قاطعه (شاكر) فجأة فى صرامة :

ــ أنت غبىّ .

وبحركة مباغتة ، صوَّب إليه مسدَّسًا ، وهو يستطرد فى حَنَق :

ــ لقد حاولت إبعادك عن الطريق فى سلام ، ولكنَّك لا تستحق سوى القتل .

أدهشه أن ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ إذن فأنت تنوى إضافة جريمة القتل ، إلى جرائمك الأخرى .. كم يؤسفنى ذلك يا (شاكر) ، إنك ستبدو قبيحًا وأنت تتدلَّى من حبل المشنقة .

صاح (شاكر) فى غضب :

ــ أنت وقح ، وتستحق القتل .. خذ ..

وأطلق ثلاث رصاصات متتابعة على قلب (عصام) ..

* * *

لا يمكن وصف ما أصاب (شاكر) ، بعد أن أطلق رصاصاته الثلاث ، سوى بالذهول ، فقد اتَّسعت عيناه وجحظتا ، حتى كادتا تقفزان من محجريْهما ، وسقطت فكه السفلى حتى بدت ملامحه أقرب إلى البلاهة ، وهو يحدِّق فى وجه (عصام) ، الذى أطلق ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

ــ إنه اعتراف واضح صريح يا (شاكر) بك .. ولقد أوقعت بنفسك ؛ لأنك لم تحتفظ بمسدَّسك فى جيبك طوال الوقت ، فلقد تسلَّلت أنا إلى حجرة مكتبك منذ ساعة واحدة ، وأبدلت رصاصاته بأخرى زائفة ، فقد كنت أتوقَّع إقدامك على ذلك .

تراجع (شاكر) فى ذعر ، وهو يقول :

لا يمكن وصف ما أصاب (شاكر) ، بعد أن أطلق رصاصاته الثلاث ، سوى بالذهول ..

ـ اسمع يا أستاذ (عصام) .. سأدفع لك ربع مليون جنيه .. بل نصف مليون .

مطَّ (عصام) شفتيه فى أسف ، وهو يقول فى هدوء :

ـ لا فائدة يا (شاكر) .. لقد انتهى كل شىء .

ثم مال نحوه ، وهو يُرْدِف فى سخرية :

ـ إننى لم آت هنا وَحْدى .. لقد أتى معى العقيد (خيرى) ، من المباحث الجنائية ، وعدد من ضباط ورجال الشرطة ، وهم ينتظرونك الآن بالخارج .

امتقع وجه (شاكر) ، وألقى جسده المنهار على أقرب مقعد ، ودفن وجهه بين كفَّيْه ، وهو يهتف فى صوت باك :

ـ مستحيل !! لقد ضاع كل شىء .. انتهى كل شىء .

تنهَّد (عصام) فى ارتياح ، وقال فى هدوء :

ـ نعم يا (شاكر) .. لقد انتهى كل شىء ، وسيكون عليك أن تحتمل كل السنوات القادمة فى السجن ، وكل ما أريده هو أن تتذكَّر فى كل يوم تقضيه خلف القضبان كلمة واحدة .. أو بمعنى أدق رمزًا واحدًا .

وابتسم ، وهو يستطرد فى صرامة :

ـ تذكَّر رمز (ع × ٢) .. إنه الفريق الذى أوْقَع بك .

* * *

١٣ ــ الختام ..

استقبل صحفيُو قسم الحوادث زميلهم (عصام) فى ترحاب وسعادة ، وهو يدلف إلى القسم فى اليوم التالى ، وصافحه رئيس القسم فى حرارة ، وهو يبتسم قائلًا :

ــ تحقيق رائع يا (عصام) .. لقد تفوَّقت على نفسك هذه المرَّة .

ابتسم (عصام) فى خجل ، وهو يغمغم :

ــ إننى لا أستحق الثناء فى الواقع ، فـ (عمـــاد) و (عُلا) هما ..

قاطعته ضحكات صاخبة مرحة ، وربَّت رئيس القسم على كتفه ، وهو يقول :

ــ كفى يا (عصام) .. إن تواضعك هذا يثير دهشتى .. إن أحدًا لم يَعُدْ يصدِّق قصَّة (عماد) و (عُلا) هذه .. لا تردِّدها فى كل مرَّة ، حتى لا يسأمها الجميع .

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ــ لا بأس يا سيِّدى .. لن أردِّد هذه القصة مرَّة أخرى ، ولكننى سأحتفظ بالتوقيع .

هتف الرئيس فى حماس :

ــ بالطبع .. لقد أصبحت مصر كلها تنتظر تحقيقات (ع × ٢) فى شغف .

وعاد يَشُدُّ على يده ، مستطردًا :

ــ أهنئك مرَّة (أخرى) يا (عصام) .

أومأ (عصام) برأسه فى صمت ، واتجه إلى مكتبه ، ولم يكد يجلس خلفه حتى قال عامل المكتب له :

ــ هناك رجلان يطلبان مقابلتك يا أستاذ (عصام) .

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ دعهما يأتيان .

ولكنه لم يستطع إخفاء دهشته ، حينما رأى (فاروق) و (نجيب) يتجَّهان إلى مكتبه ، ويجلسان أمامه فى حَرَج ، فابتسم فى ارتباك ، وهو يغمغم :

ــ مرحبًا بكما .

تبادل الاثنان نظرة مرتبكة ، ثم غمغم (فاروق) فى خجل :

ـ أستاذ (عصام) ، إننا ندين لك بالشكر .. والاعتذار .

وقال (نجيب) :

ـ الشكر لأنك أنقذتنا من الاتهام والشكوك ، أنت والصغيران (عماد) و(عُلا) .

ابتسم (عصام) ، وهو يسألهما فى هدوء :

ـ وماذا عن الاعتذار ؟

تبادلا نظرة خجلى ، ثم قال (نجيب) فى حَرَج :

ـ فى الواقع يا أستاذ (عصام) .. لقد كنا نضمر لك السوء و ..

ارتبك وتلعثم ، وضاعت الكلمات بين شفتيه ، فقال (فاروق) :

ـ انتظر .. سأخبره أنا .

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا :

ـ عندما غادرت أنت والعقيد (خيرى) منزل (نجيب) ، كان يشعر بالغضب لاتهامك له ولى بارتكاب الحادث ، فاتصَّل بى فوْرَ انصرافكما ، ووجدنى أماثله غضبًا ، ودفعنا الغضب إلى التفكير فى التعرُّض لك ، وتلقينك درسًا يمنعك من التدخل فى شئوننا .

رفع (عصام) حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !!

خفض الاثنان وجهيهما فى خجل ، وغمغم (فاروق) فى حياء :

ـ لذا فنحن نعتذر .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ شكرًا لكما .. لقد كانت أيامًا عصيبة .. أليس كذلك؟

أومأ كل منهما برأسه موافقًا ، ثم نهضا ليصافحاه مرة أخرى ، وقال (نجيب) :

ـ سننصرف الآن يا أستاذ (عصام) ، فما زالت أمامنا مهمة أخرى .

سألهما ، وهو يبتسم :

ـ هل ستعودان إلى عملكما ؟

هزَّا رأسيهما نفيًا ، وابتسم (نجيب) وهو يقول :

ـ بل سنذهب لنقدِّم الشكر أوَّلًا لأصحاب الفضل الحقيقىّ .

وخرجت الكلمات من بين شفتى (فاروق) مفعمة بالإعجاب والانفعال ، وهو يقول :

ـ نعم .. لفريق (ع × ٢) ..

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/ ٣٥٤١

مغامرات ع × ٢ عمادو علا

سلسلة الروايات مثيرة للناشئين تنمّي الفكر والذكاء..

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية الحريق الغامض

- حريق غامض تتعرّض له مخازن شركة النيل للمنسوجات، ولا يوجد دليل سوى بقايا سلك كهربيّ محترق، وقطع زجاج محطّمة، وثلاثة من المشتبه فيهم.. ويزداد الغموض في كل خطوة.
- تُرى.. هل ينجح فريق (ع × ٢) في حل لُغز هذه القضية الجديدة؟
- اقرأ التفاصيل، وحاول أن تسبق (عماد) و(علا) إلى حلّ اللُّغز.

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
[illegible] ت ٩٤٥٥٠

الثمن في مصر ٦٠ ج
وما يعادل دولارًا أمريكيا
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
(قضية جريمة المسرح)